

شرح

القواعد الأربع والأصول الستة

إعداد الشيخ

أبي معاذ حسن المرداوي

وفقه الله تعالى

مكتبة اتباع السنة نجاة

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح

القواعد الأربع والأصول الستة

إعداد الشيخ

أبي معاذ حسن المرداوي

وفقه اللَّه تعالى



الكتاب: شرح القواعد الأربع والأصول الستة

إعداد: حسن المرداوي

القياس: ٢١ * ٢٧. ٥سم

مكتبة اتباع السنة نجاة العلمية، ١٤٤٤هـ

مكتبة اتباع السنة نجاة العلمية

النســخة الإلكـترونيــة الأولى

ittibalsunnah@gmail. com

١٤٤٤ - ٢٠٢٢

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتمْ مُسْلِمُونَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

أما بعد: فإنَّ خير الحديث كتاب الله،وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"

فأحمد اللهَ الملك القدوس، الرحمن الرحيم، العليم الحكيم، وأشكره جَلَّ وَعَلَا، كما هدانا إلى سبيل الحق، أحمده سبحانه وأشكره، وله الفضلُ والثناء الحسن، لا أحصي ثناءً عليه، تبارك ربي كما أثنى على نفسه، أن منَّ عليَّ، ورزقني كتابة بعض الرسائل العلمية الصغيرة في بيان منهج وعقيدة أهل السُّنة، نقلتُ في جلِّها كلام علماء السلف، ومن ضمنها هذه الرسالة التي أضعها بين يدي أحبتي طلبة العلم،وتأتي أهمية هذه الرسالة من خلال عدة أمور منها:

١ - أهمية الموضوع الذي كُتبت فيه، وهو بيان خطر الشرك، والتحذير من وسائله، وبيان شبه المشركين.

٢ - منزلة الشيخ الإمام مؤلف الرسالة.

٣ - اهتمام العلماء بها شرحاً وتدريساً.

قال المؤلف رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركا أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أعطى شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذ أذنب استغفر، فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

يتضمن هذا الدرس الكلام عن المسائل التالية:

المسألة الأولى: استحباب الابتداء بالبسملة وبيان معناها.

أولاً: بدأ المؤلف رحمه الله رسالته بالبسملة اقتداءً بكتاب الله تعالى، واتباعاً لسُّنة النبيِّ صلى الله عليه وسلم حيث كان يبتدأ رسائله بالبسملة، وعلى ذلك سار السلف الصالح رضي الله عنهم، ودليل ذلك:

١ - من القرآن:

أنّ الله جلّ وعلا نزّل في بداية كل سورة، البسملة ما عدا سورة التوبة.

٢ - من السُّنة:

ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سُفْيَانَ قال: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقُرِئَ، فَإِذَا فِيهِ: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ، فَعَلَيْكَ إِثْمُ الأَرِيسِيِّينَ) [١].

---

(١) رواه البخاري باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم رقم (٢٩٤١) ، ومسلم باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (١٧٧٣)

٣ - كان الصحابة إذا كتبوا كتاباً صدروه بالبسملة، فقد أخرج عبد الرزاق، عن معمر، قال: أخبرني من، سمع ابن سيرين، يقول: «كان ابن عمر إذا كتب: بسم الله الرحمن الرحيم، كتب: أمَّا بعد، من عبد الله بن عمر»[٢]، وجرى علماء الإسلام على ذلك في كثير من مصنفاتهم.

المسألة الثانية: معنى بسم الله الرحمن الرحيم.

الاسم: مشتق من السمو، والسمو الرفعة، والأصل فيهِ سَمَو - بالواو - على وزن جَمَل، وجمعه أسْمَاء[٣]. وبسم له متعلق بفعل محذوف متأخر يقدر هنا بأقرأ، أي بسم الله أقرأ.

واسم الجلالة "الله" بمعنى المألوه، أي: المعبود محبة وتعظيماً، وهو عَلَم على نفس الله ﷻ، ولا يسمى به غيره، ومعنى "الرحمن" ذو الرحمة الواسعة.

"الرّحيم": اسم يدل على الفعل، فيجتمع من "الرحمن الرحيم" : أن رحمة الله واسعة وأنّها واصلة إلى الخلق.[٤]

المسألة الثالثة: بيان معنى اسم (الكريم)، واسم (الربّ).

أولاً: اسم (الكريم): معناه كثير الخير يعم به الشاكر، والكافر، إلاَّ أن شكر نعمه تعالى داعٍ للمزيد منها، وكفرها داع لزوالها".

وكرمه تعالى وعطائه شمل الكائنات بأسرها.[٥]

---

(٢) المصنف، باب الرجل يبدأ بنفسه في الكتاب رقم (٢٠٩١٣) .

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٠)

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ٣٨)

(٥) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ١٧٣، ٢٢٤)

واسم (الكريم) ورد في القرآن و السُّنة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾.

وفي السُّنة، قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ، ثُمَّ لَا يَضَعُ فِيهِمَا خَيْرًا» (٦)

ثانياً معنى اسم (الرَّب): الرَّب: يعني المَالك المتصرِّف، ويُطلق في اللغة على السَّيِّد، وعلى المُتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حقِّ الله تَعالَى (٧).

وورد ذِكره في القُرآن في مواضع كثيرة جدًّا: قال تَعالَى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة:٢].

واسم «الرَّب» من أكثر الأَسْماء الَّتي يُدعى بها الله جَلَّ وَعَلَا.

قال العلاّمة السَّعْدي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى: و«الربُّ» هُو المُربِّي جميعَ عِباده بالتَّدبير وأصناف النِّعم، وأخَصُّ من هذا: تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا أكثر دعائهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنَّهم يطلبون منه التربية الخاصة» (٨).

---

(٦) أخرجه الحاكم (١٧٣٢) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٧٦٨)

(٧) «تفسير ابن كثير» (١٣١/١) .

(٨) «تفسير السعدي» (٩٤٥/١) .

• فَائدةٌ:

قال السَّعْدي في «التفسير»: «وتَربيته تَعالَى لخلقه نوعان: عامة، وخاصة.

فالعامَّة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم الَّتي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التَّوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر، ولعل هذا المعنى هو السِّرُّ في كون أكثر أدعية الأنبياء باسم «الرَّب»، فإن مطالبهم كلَّها داخلة تحت ربوبيَّته الخاصَّة»[٩].

١- فدعاء الأبوين عليهم السلام بقولهما: ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

٢- ودعاء نوح - عَلَيه الصَّلاة والسَّلام - بقوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [نوح: ٢٨].

٣- ودعا به ابراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

٤- ودعاء موسى - عَلَيه الصَّلاة والسَّلام - بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

و به دعا يوسف وزكريا وسليمان ونبينا عليهم الصلاة والسلام.

---

(٩) «تفسير السعدي» (١١١/١).

المسألة الرابعة: أدلة إثبات العرش و أنه غير الكرسي.

العرش من مخلوقات الله تعالى العظيمة التي لايقدر حجمها إلاّ الله جَلَّ وَعَلَا، وهو ثابت بالقرآن والسنة والإجماع [١٠]

قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧)﴾[الحاقة:١٧]، وأنَّه على الماء.

وورد في السُّنة أن أحد حملة العرش ما بين شحمة إذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام[١١]، وأنَّ له قوائم[١٢]، وأنَّه سقف جنة الفردوس[١٣]. جاء ذلك في أحاديث صحيحة مذكورة في "الشرح". و ذلك كله ممَّا يبطل تأويل العرش بأنَّه عبارة عن الملك وسعة السلطان "[١٤].

المسألة الخامسة: الله جَلَّ وَعَلَا يتولى أهل الإيمان.

دعا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لطالب العلم بأن يتولاه الله، ويكون معه، معية تقتضي الحفظ والنصر والتأييد، ومن يتولاه الله تعالى فلا يُخذل، ولا يُهزم، وتكون له العزة والغلبة، والتوفيق.

---

(١٠) انظر: مجموع فتاوى (٦/ ٥٨٤)

(١١) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -: أنَّ النبيّ - صلى الله عليه وسلم- قال: «أذِنَ لي أنْ أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ من ملائكَةِ اللهِ من حَمَلَةِ العرْشِ: أنَّ مَا بينَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إلى عَاتِقِهِ: مَسِيرةُ سَبْعِمَائةِ عَامٍ». أخرجه أبو داود رقم (٤٧٢٧) في السُّنَّة، باب الجهمية، وقد صححه المناوي في" التيسير "، ورواه الطبراني في " الأوسط " قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وصححه الشيخ الألباني في تعليقه على الطحاوية (١/ ٣١١) .

(١٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يصعق الناس، فأكون أوَّل مَن يفيق، فإذا بمُوسَى باطش - أو قال: آخذ - بقائمةٍ من قوائم العرش".

(١٣) ورد في الحديث "فإذا سألتُم الله، فاسألوه الفردوس ؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة"

(١٤) انظر: تخريج العقيدة الطحاوية، للشيخ الألباني، (١/ ٥٤) .

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ أي تولاهم بلطفه ومن عليهم بإحسانه، فأخرجهم من ظلمات الكفر والمعاصي والجهل إلى نور الإيمان والطاعة والعلم، وكان جزاؤهم على هذا أن سلمهم من ظلمات القبر والحشر والقيامة إلى النعيم المقيم والراحة والفسحة والسرور [١٥].

وفي قوله تعالى ﴿فإنَّ الله هو مولاه﴾،أي وليه وناصره [١٦]

وكان دعاء أهل الإيمان لربهم جَلَّ وَعَلَا : ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

وفي معركة أحد لمّا كان بعض المشركين يرتجز " أُعْلُ هُبَلْ أُعْلُ هُبَلْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَلَا تُجِيبُوا لَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَقُولُ قَالَ قُولُوا اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ قَالَ إِنَّ لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَلَا تُجِيبُوا لَهُ قَالَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَقُولُ قَالَ قُولُوا اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ " [١٧]

المسألة السادسة: جواز الدعاء للغير بالبركة.

يُسَّن للمؤمن أن يدعو لأخية بالبركة، في ماله وأهله، وفي علمه ودعوته. والشيخ دعا لطالب العلم بأن يجعله الله مباركاً، والمبارك من البركة وهي الزيادة والنماء [١٨]

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - (قال: وُلِدَ لي غُلامٌ، فأَتَيْتُ به رسول الله ﷺ، فَسَمَّاهُ إبراهيمَ، وحنَّكَهُ بتمرةٍ ودعا له بالبركة، ودَفَعَهُ إِلَيَّ، وكان أكبرَ وَلَدِ أَبي موسى). وهذا لفظ مسلم. [١٩]

---

(١٥) انظر: تفسير تيسير الكريم الرحمن، للعلاّمة السعدي (ص: ١١١) .

(١٦) انظر: تفسير البغوي، (٥/ ١١١) .

(١٧) رواه البخاري باب غزوة أحد (٣٧٣٧) .

(١٨) انظر مختار الصحاح، للرازي (١/ ٣٣)

(١٩) أخرجه البخاري باب تسمية المولود رقم (٥٤٧٠) ، ومسلم باب استحباب تحنيك المولود (٢١٤٥) .

المسألة السابعة: معرفة معنى الشكر، وبيان أهميته.

أولاً: الشُّكر لغة: الثناء على المُحسن بما أولاك من المعروف [٢٠].

ويُعرَّف شرعًا: بالاعتراف بنعمة المُنعم على وجه الخضوع.

وقيل: الثَّناء على المُحسن بذكر إحسانه.

وقيل: هو عكوف القلب على محبة المُنعم، والجوارح على طاعته، وجريان اللِّسان بذِكره، والثناء عليه [٢١].

وقيل: هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه: شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه: انقيادًا وطاعةً [٢٢].

ثانياً: أركانُ الشُّكر

١ - خضوع الشاكر للمشكور.

٢ - حبه له.

٣ - اعترافه بنعمته.

٤ - ثناؤه عليه بها.

٥ - أن لا يستعمِلَها - أي النِّعَم - فيما يكره [٢٣].

فإن تخلفت واحدة نقص من الشكرِ بحسبها.

ثانيًا: منزلة وفضائل الشُّكر:

(٢٠) «مختار الصحاح» (٣٥٤/١) .

(٢١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٢٤٧/٢) .

(٢٢) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٢٤٧/٢) .

(٢٣) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٢٤٧/٢) .

١- قرن الله تعالى الشكر بالإيمان، قال الله ﷻ : ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

٢- وعد الله تَعالَى الشاكرين بالزيادة، قال تَعالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]

٣- أطلق جزاء الشكر إطلاقًا حيث ذُكِر، كقوله: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]،

٤- وصف الله سُبْحانَه الشاكرين بأنَّهم قليل من عباده، فقال تَعالَى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وقد ثبت في «الصحيحين» عن النَّبي أنَّه قام حتى تفطَّرت قدماه، فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[٢٤].

وثبت أنَّ النَّبي قال لمعاذ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ إِنِّي أُوصِيكَ، لَا تَدَعَنَّ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهم أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» [٢٥]. انتهى مختصرًا من كتاب «عدة الصابرين» لابن القيّم [٢٦].

---

(٢٤) أخرجه البخاري، باب قيام النَّبي ﷺ الليل، رقم (١١٣٠) ، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب إكثار الأعمال والاجتهاد، رقم (٢٨١٩) .

(٢٥) أخرجه أحمد (٢٤٤/٥) ، وأبو داود (١٥٢٢) ، والنسائي (٥٣/٣) ، وابن خزيمة (٧٥١) ، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٥٣/٥) .

(٢٦) انظر: «عدة الصابرين» لابن القيم (٦/٢٢) .

٥- "الإيمان نصفان: نصف شكر. ونصف صبر" [٢٧].

قال - ابن القيم - في الفوائد (ص: ٩٧): وَمَا أُتِي من أُتِي إِلَّا من قِبَل إِضَاعَة الشُّكْر وإهمال الافتقار وَالدُّعَاء وَلَا ظفر من ظفر بِمَشِيئَة الله وعونه إِلَّا بقيامه بالشكر وَصدق الافتقار وَالدُّعَاء وملاك ذَلِك الصَّبْر فَإِنَّهُ من الْإِيمَان بِمَنْزِلَة الرَّأْس من الْجَسَد فَإِذا قطع الرَّأْس فَلَا بَقَاء للجسد" انتهى.

المسألة الثامنة: معنى الصبر وبيان أهميته ومنزلته.

أولاً: أصل كلمة الصبر: المنع والحبس فالصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي" [٢٨]

ثانياً: أهمية الصبر وبيان ثمراته.

وقد ذكر الله تعالى الصبر في القرآن في نحو من تسعين موضعاً، وأضاف إليه أكثر الخيرات والدرجات وجعلها ثمرة له [٢٩]، فقال تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وأمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالصبّر فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ﴾ [الاحقاف: ٣٥].

---

(٢٧) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٣٢) .

(٢٨) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم (ص: ١٥) .

(٢٩) انظر: مختصر منهاج القاصدين،لبن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٩هـ) ، (ص ٢٦٨) .

ومدح الصابرين في آيات كثيرة فقال سبحانه: ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) [الحج: ٣٥]

وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]

ومن السُّنة جاءت الكثير من الأحاديث في فضل الصبر.

قال عليه الصلاة والسلام (وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ) متفق عليه.

ثالثاً: أقسام الصبر:

١- صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها.

٢- صبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها.

٣- صبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها. (٣٠)

المسألة التاسعة: معنى الاستغفاروبيان منزلته وموجباته.

الاستغفار في اللّغة: طلب المغفرة بالمقال والفعال، والمغفرة في الأصل: السّتر، ويراد بها التّجاوز عن الذّنب وعدم المؤاخذة به "والاستغفار والتّوبة يشتركان في أنّ كلاًّ منهما رجوعٌ إلى الله، ورد الاستغفار بصيغٍ متعدّدةٍ (٣١)، والمختار منها ما رواه البخاريّ عن شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عَنْ النَّبِيِّ ﷺ سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ

---

(٣٠) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٨) .

(٣١) انظر: أسباب رفع العقوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٤) .

وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (٣٢).

وردت في السُّنة الحث على الاستغفار في مواضع عديدة منها:

الاستغفار عقب الخروج من الخلاء، وبعد الوضوء، وعند دخول المسجد والخروج منه، وفي الصّلاة: عند الافتتاح وعند الركوع وعند السجود عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا، وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ، أي يحقّق قوله تعالى: «فسبّح بحمد ربّك واستغفره» (٣٣) متّفقٌ عليه (٣٤).

وقد يبتلى العبد بذنوب يعتاد عليها يُحقرها بعينه فلا يتركها، فتجتمع عليه فتهلكه، فالواجب على العبد أن يكون كثير التوبة، دائم الإستغفار يستعظم الذنوب صغيرها وكبيرها، لذلك أمر الله جَلَّ وَعَلَا بالاستغفار فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾،ولذلك قيل لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت، وعَنْ

(٣٢) رواه البخاري باب افضل الاستغفار، رقم ٦٣٠٩،والترمذي، رقم ٣٣٨٨.

(٣٣) انظر: أسباب رفع العقوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٤) .

(٣٤) رواه البخاري باب التسبيح والدعاء في الصلاة، ومسلم في الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود رقم ٤٨٤.

عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "يَا عَائِشَةُ! إِيَّاكِ ومُحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ؛ فَإِنَّ لها من الله طالباً "[٣٥]. وفي لفظ:

"إياكم ومحقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه"[٣٦]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: " إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا لَهِيَ، أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ "[٣٧]، قال ابن بطال: "المُحقراتُ إذا كثرت صارت كباراً مع الإصرار"[٣٨].

المسألة العاشرة: أهمية التوبة.

أمر الله تعالى عباده بالتوبة، ورغب فيها،وأخبر بمحبته لأهلها فقال جَلَّ وَعَلَا ﴿ياأيّها الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ سورة التحريم: ٦٦، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

وشروط التوبة هي:

١ - الإخلاص لله تعالى،وطلب مرضات الله تعالى.

٢ - الأقلاع عن الذنب.

---

(٣٥) أخرجه ابن ماجه، في الزهد، باب ذكر الذنوب (٤٢٤٣) الدارمي (٢٧٦٨) ،وابن حبان (٥٥٨٦) ، وابن ابي شيبة رقم (٣٤٣٣٧) ، والنسائي في الكبرى (١١٨١١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٨٧٥) ،و صححه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان على ابن حبان، (٨/ ١٣٧)

(٣٦) أخرجه أحمد (٣٣١/٥، رقم ٢٢٨٦٠) ، والطبرانى (١٦٥/٦، رقم ٥٨٧٢) ، وصححه الالباني في صحيح الجامع (٢٦٨٦) .

(٣٧) رواه الإمام احمد في المسند رقم (١٠٩٩٥) .

(٣٨) فتح الباري، ابن حجر (١١/ ٣٣٠)

٣ - الندم عليه.

٤ - العزيمة على أن لايعود إليه.

٥ - أرجاع الحقوق إلى أهلها أن كان الذنب، يتعلق بحقوق الناس.

٦ - أن تكون التوبة في وقت القبول فإن كانت بعد فوات وقت القبول لم تقبل، ووقت القبول ينقسم إلى قسمين: عام، وخاص.

أما العام: فإنَّه طلوع الشمس من مغربها، فالتوبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا تقبل لقول الله - تعالى - : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾.

وأما الخاص: فهو حضور الأجل فإذا حضر الأجل فإن التوبة لا تنفع لقول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ (٣٩)

(٣٩) انظر: للمزيد كتاب مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، (٢/١٥٣).

قال المؤلف ﷺ:

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾. فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة؛ فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة. فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه:

في هذه المقدمة المهمة تدرَّج الشيخ مع القارئ تدرجاً في غاية الأهمية، حيث عرّف "الحنفيّه" وهي دين التوحيد، وبيّن ان الله خلق الخلق لأجل العبادة.

وبعد هذا التقرير بيَّن الشيخ عدة أمور:

١- أن العبادة لا تصح إلاّ مع التّوحيد.

٢- أنَّ الشرك يبطل العبادة.

٣- ينبغي على العبد معرفة الشرك ووسائله.

٤- وحول هذه الأمور المهمة نُذَكِّر ببعض المسائل:

المسألة الأولى: تعريف الحنيفية.

الحنيف: هو الذي اعتزل عبادة الأصنام[٤٠]، ويقال: اعتزل الأصنام وتعبَّد لله [٤١].

وقيل الحنِيفُ: الْمائِلُ عنِ الْأَدْيَانِ كلّها،إلَى الدِّين الْمسْتَقيمِ، وقيل: الْحنيفُ الَّذي يوحِّدُ ويحجُّ ويضحِّي ويختنن ويستَقْبل [٤٢].

فالحنيفية تعني الميل من الشرك إلى التوحيد؛ لذلك وصِف إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالحنيف كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

المسألة الثانية: بيان معنى العبادة، وتحت هذه المسألة نُذّكِر ببعض الأمور وهي:

أولاً: تعريف العبادة:

العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ومعنى ذلك: الانقياد التام لله تعالى، أمراً ونهياً [٤٣]

ثانياً: لاتسمى العبادة عبادة إلاَّ مع التوحيد.

الأعمال مهما كثرت لاتنفع مع الشرك المضاد للتوحيد، وأنه محبط لها قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)

---

(٤٠) انظر: القاموس المحيط،لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) ، (١/ ٨٠٢) .

(٤١) انظر: مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) (ص: ٨٣) .

(٤٢) تفسير البغوي، (١/ ٤٥٣) .

(٤٣) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٧٣) .

بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)﴾. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾..

ثالثاً: لا تُقبل العبادة حتى تكون خالصةً لله تعالى، ووفق شريعته.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ١١٠]، وهذه الآية الكريمة جمعت بين ركني قبول العمل، قال ابن كثير في تفسيرها: " ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا﴾، ما كان موافقًا لشرع الله،﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المُتَقبل"[٤٤]

فالعمل الصالح هو الموافق للسُّنة، ومن عمل خلاف السُّنة،فعمله فاسد مردود عليه، لقوله عليه الصلاة والسلام،" مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ "[٤٥].

المسألة الثالثة: بيان منزلة الإخلاص في تكفير الذنوب.

قال ابن القيم في بيان عظم أعمال القلوب:

"الكلام في مسألة النية شديد الارتباط بأعمال القلوب ومعرفة مراتبها وارتباطها بأعمال الجوارح وبنائها عليها وتأثيرها فيها صحة وفساداً وإنّما هي الأصل المراد المقصود وأعمال الجوارح تبع ومكملة ومتممة وأن النيّة بمنزلة الروح والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء "[٤٦]

---

(٤٤) تفسير ابن كثير، (٥/ ٢٠٥).

(٤٥) أخرجه البخاري في الصلح ٥/٢٢١: باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود رقم ٢٦٧٩، بلفظ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد»، ومسلم رقم (١٧١٨) في الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة.

(٤٦) بدائع الفوائد،لابن القيم (٣/ ٧٠٥).

ويقول أيضاً: "عبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم فهي واجبة في كل وقت" [٤٧]، والعمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله، فيكفر الله به كبائر الذنوب، ودليل ذلك:

حديث البطاقة:

قال عليه الصلاة والسلام "يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ عليه تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ فَيَقُولُ: لَا يا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ [فيقول: لا، يا رب]، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عذر، أَلِكَ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ. فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ" [٤٨]فهذه حال من قالها بإخلاصٍ وصدقٍ، كما قالها هذا الشخص، وإلاَّ فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلُّهم يقولون التوحيد، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم كما ترجّح قول صاحب البطاقة.

ومنها **حديث البغي**،الذي رواه مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا»،

(٤٧) بدائع الفوائد، (٣/ ٧١٠) .

(٤٨) رواه الترمذي باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله،رقم (٤٣٠٠) ، وقال حسن غريب،وابن ماجة،واحمد في المسند (٦٩٩٤) . والحاكم،في المستدرك كتاب الايمان (٩) .

فهذه سقت الكلب بإيمانٍ خالص كان في قلبها فغفرالله لها، وإلاَّ فليس كلُّ بغي سقت كلباً يغفر لها، فالأعمال تتفاضلُ بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإجلال " (٤٩)

المسألة الرابعة: معرفة خطورة الشرك، وبيان أنواعه.

الشرك ظلم عظيم، وذنب لاينفع معه عمل، ودليل ذلك، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

والشرك أنواع:

أولاً: الشرك الأكبر: وهو المخرج من الملة، وهو صرف العبادة لغير الله تعالى كدعاء غير الله.

ثانياً: الشرك الأصغر: هو كل ما نهى عنه الشرع ممّا هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركاً كالحلف بغير الله، فإنه مظنة للانحدار إلى الشرك الأكبر (٥٠)

قال الشيخ العثيمين في بيان الفرق بين الشرك الأكبر، والشرك الأصغر: " صرف العبادة لغير الله شرك أكبر، وتعظيم المخلوق كتعظيم الله، بأن يجعل له حقاً في الربوبية،أو التعظيم كما يعظم الخالق؛ فهذا شرك أكبر، وما دون ذلك فهو شرك أصغر، مثلاً: مسألة الحلف بغير الله شرك أصغر في الأصل، لكن لو كان في قلب الحالف أن الذي حلف به مثل الله؛ صار شركاً أكبر، فالضابط أن ما أطلق عليه الشارع اسم الشرك، وهو لا يخرج من الملة فهو شرك أصغر، وما كان يخرج من الملة فهو شرك أكبر" (٥١)

---

(٤٩) انظر منهاج السنة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، (٦/ ٢١٨) .

(٥٠) انظر مجوع فتاوى اللجنة الدائمة، (٢/٤٦٥) .

(٥١) لقاء الباب المفتوح، ابن عثيمين (٣٦/١٣)

خطورة الرياء، و أنه من الشرك:

قال عليه الصلاة والسلام. «مَن سمَّع سمّع اللَّه به، ومَنْ يرائي يرائي اللَّهُ به» [٥٢].

وقيل في معناه أن الرجل يعمل العمل فيذيعه بين النَّاس لطلب الممدحة، أو أنَّه ينسب لنفسه عملاً لم يعمله؛ [٥٣] ولخطورة الرياء كان النبيّ ﷺ يخاف على أمته منه كما في الحديث: « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ ؟ قَالَ: "الرِّيَاءُ ". [٥٤]

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أنَّه قال: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ

---

(٥٢) رواه البخاري في الرقاق، باب الرياء والسمعة رقم (٦٤٩٩) ، ومسلم رقم (٢٩٨٧) في الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله

(٥٣) انظر: شرح مسلم للنووي، (١٨/ ١١٦) .

(٥٤) قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ١٥٥٥ في صحيح الجامع، وانظر السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٥)

تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ " [٥٥]

قلتُ: فهؤلاء عملوا أعمالاً عظيمة كالجبال، منها بذل المال مع حب النفس له، وقبل ذلك قتال الأعداء حتى الموت، والسَّهر في التعليم،لكنها لمّا فقدت شرط الإخلاص،كانت سبباً في دخولهم النار، نسأل الله العافية، فيحتاج أن يُذكِّر طالب العلم والداعي إلى الله نفسه دائماً بهذا الحديث، ويجاهدها على الصدق والإخلاص.

المسألة الخامسة: معنى التوحيد و أقسامه:

التوحيد بالمعنى العام:

هو إفراد الله بما يستحق من توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات. وهوعلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الألوهية، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة.

القسم الثاني: توحيد الربوبية، وهو إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهو توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته.[٥٦]

---

(٥٥) رواه مسلم في الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، رقم (١٩٠٥) والترمذي في الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة، رقم (٢٣٨٣) ،والنسائي ٦/ ٢٣ و ٢٤ في الجهاد، باب من قاتل ليقال: فلان جريء

(٥٦) انظر: مجموع فتاوى الشيخ العثيمين (٥/ ٢١٦) .

قال المؤلف ﷺ :

القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام.

والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾

المسألة الأولى أهمية معرفة قواعد أهل السُّنة:

أولاً: شرع الشيخ ﷺ ببيان القواعد المهمة في التوحيد التي أراد التذكير بها، وهذه القواعد دلَّت عليها النصوص الشرعية من الكتاب و السُّنة، وهكذا هي قواعد وأصول السلف الصالح،مستنبطة من نصوص الكتاب والسُّنة، على خلاف قواعد وأصول أهل الآهواء التي بنوّها على المنطق والفلسفة، ومرجعها إلى عقولهم الكاسدة التي عارضوا بها النصوص الشرعيّة.

ومن المعلوم أنَّ التأصيل أو التقعيد مطلب سامٍ والسيَّر على القواعد والأصول، منزلة عظيمة والموفق من هُدي إليه، لذلك ينبغي على كل طالب علم أن يُشَمّر عن ساعد الجدِّ فيحصل من كل علم على أصوله وقواعده:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ : "لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ وإلاَّ فيبقى فى كذب وجهل فى الجزئيَّات ,وجهل وظلم فى الكليَّات, فيتولَّد فساد عظيم". (٥٧)

---

(٥٧) (مجموع الفتاوى١٩\٢٠٣) .

الثانية: تعريف القاعدة لغة واصطلاحاً.

١ - تعريف القاعدة لغة: القاعدة مفرد قواعد، وقواعد البيت: أساسه وأصول حيطانه، قال الشاعر:

أرْسَى قواعدَه وشَيّد فرعَه... فله إلى سَبَبِ السماء سبيلُ (٥٨)

٢ - في الإصطلاح: (هي قضيَّة كليَّة منطبقة على جميع جزئيَّاتها). وقد يطلق عليها الأصل، وقد يطلق عليها الضَّابط.

الثالثة: أهمية القواعد:

معرفة القواعد مهمة للمسلم بصورة عامة ولطالب العلم خاصة، وذلك من عدة أوجه:

الوجه الأول: تعين طالب العلم على معرفة الجزئيَّات من خلال إرجاعِها إلى القواعد والكّلّيات

الوجه الثاني: تسهيِّل الوصول إلى العلم،وذلك بضبط القواعد والأصول،قال العلاّمة ابن عثيمين رحمه الله: " من تفته القواعد يحرم الوصول أي: الوصول إلى العلم، وفي ذلك يقول العلماء: من حُرم الأصول حُرم الوصول" انتهى. (٥٩)

الوجه الثالث: حماية الشريعة من التلاعب وإدخال ما ليس منها إليها؛ فلذلك أهتم علماء السلف بتقعيد القواعد في كل علم حماية للشريعة من تحريف أهل الآهواء،

فمثال ذلك: (أسماء الله وصفاته توقيفية) هذه قاعدة تنفعنا في بابها وهو إن كل اسم، أو صفة فلابد عند إثباتها لله تعالى من دليل خاص من القرآن أو السُّنة.

المسألة الثانية: إثبات أسم (الخالق) لله عز وجل.

(٥٨) انظر جمهرة اللغة لأبن دريد.

(٥٩) انظر شرح منظومة العثيمين .رحمه الله .في القواعد والأصول.

ورد اسم الله الخالق في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الحشر: ٢٤]، والله جَلَّ وَعَلَا هو الذي خلق جميع الموجودات وبرأها، وسواها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف"[٦٠]، والله جَلَّ وَعَلَا متفرد بالخلق والرزق والتدبير وهي من صفات الربوبية لله تعالى، ولكن قد يسأل سائل..

كيف نجمع بين قولك: أن الله منفرد بالخلق، وبين قوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ؟!

أجاب الشيخ العثيمين عن هذا السؤال فقال: "الجواب أن يقال: إن الخلق هو الإيجاد، وهذا خاص بالله تعالى، أما تحويل الشيء من صورة إلى أخرى، فإنه ليس بخلق حقيقة، وإن سمي خلقاً باعتبار التكوين، لكنه في الواقع ليس بخلق تام، فمثلا: هذا النجار صنع من الخشب باباً، فيقال: خلق باباً، لكن مادة هذه الصناعة الذي خلقها هو الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يستطيع الناس كلهم مهما بلغوا في القدرة أن يخلقوا عود أراك أبداً، ولا أن يخلقوا ذرة ولا أن يخلقوا ذباباً.

واستمع إلى قول الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾"[٦١].

المسألة الثالثة: إثبات اسم الرَّازق لله تعالى.

---

(٦٠) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ١٧٠) .

(٦١) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين – رحمه الله – (١/ ٢٢)

قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ**»[٦٢]،والرَّازق اسم فاعل من رزق وهو يدّل على العطاء، وأما أسم (الرزَّاق فقد ثبت في القرآن والسنة: والرزَّاق: صيغة مبالغة من رزق: وهو ما ينتفع به والجمع (الأرزاق) [٦٣]

فائدة: رزقه سبحانه وتعالى على قسمين:

الأول: الرزق النافع الذي لا تبعة فيه، وهو على نوعين:

أ: رزق معنوي وهو رزق القلوب بالعلوم النافعة والإيمان الصحيح.

ب: أن يغني الله عبده بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه.

النوع الثاني: هو إيصال الباري جميع الأقوات التي تتغذي بها المخلوقات برها وفاجرها المكلفون وغيرهم فهذا قد يكون من الحرام كما يكون من الحلال، وهذا فصل النزاع في مسألة هل الحرام يسمى رزقاً أم لا، فإن أريد النوع الأول وهو الرزق المطلق الذي لا تبعة فيه فلا يدخل فيه الحرام فإن العبد إذا سأل ربه أن يرزقه فلا يريد به إلاَّ الرزق النافع في الدين، والبدن وهو النوع الأول، وإن أريد به مطلق الرزق - وهو النوع الثاني - فهو داخل فيه، فما من دابة على الأرض إلاَّ على الله رزقها[٦٤].

---

(٦٢) رواه ابو داود باب في التسعير رقم ٣٤٥١، والترمذي باب ما جاء في التسعير بلفظ (الرزَّاق) وصحح الحديث باللفظين الشيخ الالباني انظر غاية المرام في تخريج احاديث الحلال والحرام (٣٢٣) .

(٦٣) انظر مختار الصحاح (٣/٨)

(٦٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ٢٠٥) .

المسألة الرابعة: "المحيي المُميت" من صفات الله الفعلية، فيوصف الله جَلَّوَعَلَا بالمحيي والمُميت لورود الأدلة في ذلك[٦٥].

سئل الشيخ العثيمين - رحمه الله - : هل (المحيي والستير) يعتبران من أسماء الله؟

الجواب: المحيي ليس من أسماء الله، من أسماء الله الحي، أما المحيي فهو صفة فعل من أفعال الله، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨]، فالمحيي اسم فاعل من أحيا، فهو من صفات الأفعال وليس من الأسماء. وأما الستير فقد ورد فيه حديث، ولكن يحتاج إلى نظر في صحته فإذا صح فهو من أسماء الله [٦٦]؛ لأن مذهب أهل السنة والجماعة أن كل ما صح في أسماء الله عن رسول الله فإنه يثبت، أي: ثابت التسمية به. "[٦٧]

المسألة الخامسة: هل (النافع الضار) من أسماء الله تعالى ؟

سئل فضيلة الشيخ العثيمين رحمه الله : ممّا يطلق على الله سبحانه وتعالى بأنَّه النافع الضار، فهل هما أسمان أم صفتان؟ وهل ثبت حديث فيهما؟

---

(٦٥) قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٣) : "فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ الاسماء الْحسنى فَمن اسمائه الغفور الرَّحِيم الْعَفو الْحَلِيم الْخَافِض الرافع الْمعز المذل المحيي المميت الْوَارِث الصبور وَلَا بُد من ظُهُور آثَار هَذِه الاسماء"

(٦٦) والحديث الذي اشار إليه الشيخ- رحمه الله -: هو - ««إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ» اخرجه أخرجه أبو داود (٤٠١٢) ، باب النهي عن التعري، والنسائى باب الاستتار عند الاغتسال (٤٠٣) ، والبيهقى (١/١٩٨) ، باب الستر في الغسل عند الناس و صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم، (١٧٥٦)

(٦٧) " لقاء الباب المفتوح، للعثيمين (١/ ٣٦٢) .

الجواب: ليس من أسماء الله النافع الضار، بل هما من صفات الله ﷻ فهو الذي بيده النفع وبيده الضر، وليس الضار من الصفة التي تقال وحدها، بل يقال: النافع الضار معاً، فإن قيل: النافع فقط فلا بأس، لكن النافع الضار فيه أن الله ﷻ بيده الأمر كله من نفعٍ وضر، وعلى كل حال فهما ليسا من أسماء الله، وإنما ممَّا يوصف الله بهما فقط، والحديث الوارد في عدهما من أسماء الله ضعيف. (٦٨)

ذكر ابن القيم إن من أسماء الله" ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقروناً بمقابله ك"المانع"و"الضار"و"المنتقم"، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله فإنه مقرون بـ"المعطي" و"النافع" و"العفو"، فهو المعطي المانع الضار النافع المنتقم العفو المعز المذل لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله " (٦٩).

المسألة السادسة: معنى التوحيد وبيان أقسامه:

التوحيد بالمعنى العام هو إفراد الله بما يستحق من توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات. وهوعلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الألوهية، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة، ويقال له: توحيد العبادة فباعتبار إضافته إلى الله يسمى: توحيد الألوهية، وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمى توحيد العبادة. وهو إفراد الله ﷻ بالعبادة، فالمستحق للعبادة هو الله تعالى، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلِ﴾ [لقمان: من الآية٣٠].

القسم الثاني: توحيد الربوبية، وهو إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير. (٧٠)

---

(٦٨) لقاء الباب المفتوح، للشيخ العثيمين (١/ ١٧٤) .

(٦٩) بدائع الفوائد (١/ ١٦٧) .

(٧٠) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ العثيمين (١/ ١٢)

قال تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْر﴾ [الأعراف: من الآية٥٤]، وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض﴾ [فاطر: من الآية٣].

وهذا القسم لم ينكره أحد إلاّ الملاحدة، أمّا الذين بُعث فيه الرسول ﷺ، فلم ينكروا ذلك والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات: هو إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه من الأسماء والصفات **من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل"** (٧١)

فنثبت لله ﷻ جميع أسمائه وصفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه أو سُّنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وننفي المماثلة، وذلك بأن لا نجعل لله مثيلاً في أسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: من الآية١١] (٧٢)

المسألة السابعة: أنّ الكفار كانوا مُقرين بتوحيد الربوبية.

اشار الشيخ إلى مسألة مهمة جداً وهي أن الخصومة بين الأنبياء جميعاً وبين خصومهم لم تكن في توحيد الربوبية، فأهل الشرك كانوا يقرون بأنَّ الله ربهم وخالقهم، ولكن اتخذوا الوسائط التي يعتقدون انَّها تقربهم إلى الله زلفى، وعبدوهم من دون الله، قال تعالى: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى

(٧١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٢٢)

(٧٢) انظر: كتاب القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ العثيمين (١/ ١٧)

اللَّهِ زُلْفى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)﴾، وقال تعالى: ﴿يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) ﴾، وقال تعالى﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾.

قال الشيخ رحمه الله :

القاعدة الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة. فدليل القربة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾. ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾. والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة. فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله، والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾.

ذكر الشيخ في هذه القاعدة أمراً مهماً، وهو قول المشركين ما دعوناهم وتوجّهنا إليّهم إلاّ لطلب القُرْبة والشفاعة، حيث أنّهم استدلوا على شركهم بشبهة التوسل وشبهة الشفاعة، وهذه هي مقالة وشبهة الأولين من المشركين والمتأخرين من القبوريين، الذين يحتجون على فعلهم بقولهم إنّما ندعوهم ليقربونا إلى الله زلفى، وقولهم هؤلاء شفعائنا عند الله، فلابد من وقفات هنا في موضوع التوسل، للحاجة الماسة إليه فهناك الآلاف من القبور، التي بُنيت عليها الأضرحة والقباب، وتصرف لها العبادات من دعاء، وأستغاثة، وذبح بحجة التوسل والاستشفاع بهم.

وانتشار أئمة الضلال الذين يُسوغون هذه الأعمال، ويثيرون الشُبه لتجويز فعلهم هذا، ويُزهِّدون ويحذرونهم من دروس التوحيد، وخطبه بحجة أنّ الأمة، قد فهمت التوحيد، أو أن الدعوة إليه تُفرِّق المسلمين ونحن بحاجة إلى جمعهم، وهذا ناتج عن جهلهم بالشرع من جهة، وجهلهم بالواقع من جهة أخرى، وسأذكر في هذا الدرس بأذن الله بعض المسائل المتعلقة بشبه المشركين والردّ عليها:

المسألة الأولى: بيان التوسل ينقسم إلى قسمين:

الأول: التوسل المشروع وهو أنواع: (٧٣)

أ - التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى،أو صفة من صفاته العليا: كأن يقول المسلم في دعائه: اللَّهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم اللطيف الخبير أن تعافيني"

ب - التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي: كأن يقول المسلم: اللَّهم بإيماني بك ومحبتي لك واتباعي لرسولك اغفر لي. (٧٤)

ج - التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح.

النوع الثاني: هو التوسل الممنوع: وهو توسل المشركين بجاه المخلوقين.

---

(٧٣) . "هذه المسائل اقتبستها من كتاب التوسل للشيخ الألباني- رحمه الله - باختصار،وأنصح بقراءة هذا الكتاب لأنّه بحث لا يستغنى عنه في هذا الباب

(٧٤) ودليل ذلك حديث أصحاب الغار، الذي رواه البخاري ومسلم، وغيرهما عنْ عبدِ اللهِ بنِ عُمرَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ... "

المسألة الثانية: بعض شبهات من جوَّز التوسل بالصالحين والجواب عليها: [٧٥]

اثار من أجاز التوسل بالصالحين،عدة شبه لتسويغ فعلهم منها:

الشبهة الأولى: استدلوا بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾،المائدة: ٣٥

موضع الاستدلال عندهم: ﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾ قالوا هذا فيه دليل على جواز اتخاذ المخلوق وسيلة بينهم وبين الخالق تبارك وتعالى.

والردّ عليهم:

ليس في الآيات السابقة ما يدّل على جواز التوسل بالصالحين، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾،أي اطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه " [٧٦]

ونقل الحافظ ابن كثير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ معنى الوسيلة فيها "القربة"، ونقل مثل ذلك، عن مجاهد وأبي وائل والحسن وقتادة، وعبدالله بن كثير" [٧٧]

الشبهة الثانية:

استدلالهم بقوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

والردّ على استدلالهم بهذه الآية:

---

(٧٥) انظر: كتاب التوسل للشيخ الألباني من ص٣١ الى ص٦٠.

(٧٦) انظر:: جامع البيان في تأويل القرآن،المعروف ب"تفسير الطبري"، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ، (١/ ٢٩٠) ، وانظر: كتاب الوسيلة، للشيخ الألباني رحمه الله ص ١٠.

(٧٧) انظر: تفسير ابن كثير، (٣/ ١٠٣) .

إن سبب نزول هذه الآية يبين المراد منها فقد بيّن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مناسبة نزولها فقال: " نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون " (٧٨)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

"أي استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجنَّ على عبادة الجنِّ، والجنّ لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة وهذا هو المعتمد في تفسير الآية " (٧٩) انتهى.

الشبهة الثالثة:

استدلالهم بقوله تعالى ﴿**وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا**﴾ [سورة الأحزاب: ٦٩]، فيقولون أن النبيّ محمد ﷺ، أفضل من موسى عليه الصلاة والسلام، وهذا يلزم أن جاهه أعظم.

والردّ على استدلالهم: يقال لهم إثبات الجاه شيء، وجواز التوسل بالجاه شيء آخر، فلا أحد ينكر، منزلة النبيّ ﷺ، فهو عليه الصلاة والسلام، أفضل الأنبياء وأعظمهم جاهاً؛ لكن المحذور هو أن يستغاث به، ويتوسل بجاهه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " ومحمد ﷺ أعظم جاهاً من جميع الأنبياء والمرسلين؛ لكن شفاعته ودعاؤه إنّما ينتفع به من شفع له الرسول ودعا له فمن دعا له الرسول، وشفع له توسل إلى الله بشفاعته ودعائه كما كان أصحابه يتوسلون إلى الله بدعائه وشفاعته، وكما يتوسل النّاس يوم القيامة إلى الله تبارك وتعالى بدعائه وشفاعته صلى

---

(٧٨) انظر: تفسير الطبري، (١٧/ ٤٧١) .

(٧٩) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، (٨/ ٣٩٧) .

الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً، ولفظ (التوسل) في عرف الصحابة كانوا يستعملونه في هذا المعنى".[٨٠]

الشبهة الرابعة:

ومن شبه المجيزين للتوسل بجاه الصالحين، احتجاجهم بحديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما وفيه: " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: " اللَّهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون " [٨١]

وجه الاستدلال عند المخالفين: قول عمر " نتوسل إليك بنبينا.... نتوسل اليك بعم نبينا"

والردُّ على هذه الشبهة من وجوه:

الأول: أن هناك محذوفاً بين الجار والمجرور، يقدر بدعاء النبيّ ﷺ، والأحاديث، وسيرة النبيّ ﷺ تشهد بذلك، أي أن الصحابة كانوا يطلبون من النبيّ ﷺ أن يدو لهم، ولم يرد عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يتوسلون بجاه النبي ﷺ، ومن قدَّر المحذوف بأنَّه " جاه " فعليه أن يأتي بالدليل.

الثاني: لو كان التوسل بجاه النبيّ ﷺ جائزاً، لما عدل عنه عمر رضي الله عنه، إلى التوسل بالعباس، رضي الله عنه، ممّا يدل على أنّ الصحابة رضي الله عنهم، يعلمون أنّ التوسل بجاه النبيّ صلى الله عليه و سلم غير جائز.

---

(٨٠) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، (١/ ١٤٣) .

(٨١) رواه البخاري، في الاستسقاء: باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء، رقم ٣٧١٠، والبيهقي في السنن الكبرى، رقم ٦٦٥٧.

الثالث: لقد فسَّرت بعض روايات الحديث الصحيحة، كلام عمر المذكور، فمن ذلك ما نقله الحافظ العسقلاني رحمه الله في الفتح، حيث قال: " قد بيَّن الزبير بن بكار في " الأنساب " صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك فأخرج بإسناد له أن العباس لمّا استسقى به عمر قال: "**اللَّهم إنه لم ينزل بلاء إلاّ بذنب، ولم يكشف إلاّ بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث** " قال: فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس..."

وفي هذا الحديث دليل على أنّ التوسل بدعاء العباس رضي الله عنه لا بذاته.

الشبهة الخامسة:

وكذلك من شبهم في جواز التوسل بالصالحين أحتجاجهم بحديث الضرير:

فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النبيّ ﷺ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ: " إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَاكَ، فَهُوَ خَيْرٌ "

فَقَالَ: " ادْعُهُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ، وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهم إِنِّي أَسْأَلُكَ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ، فَتَقْضِي لِي، اللَّهم شَفِّعْهُ فِيَّ " (٨٢).

(٨٢) رواه الترمذي في الدعوات، باب من أدعية الإجابة،رقم (٣٥٧٣) ، وابن ماجه، في أقامة الصلاة، باب ما جاء في صلاة الحاجة، رقم (١٣٨٥) ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند رقم (١٧٢٤٠) ، والنسائي في "الكبرى" رقم (١٠٤٩٥) ،، وابن خزيمة (١٢١٩) ، والحاكم ١/٣١٣ و٥١٩ من طرق عن عثمان بن عمر، بهذا الإسناد. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر، وهو الخطمي. وقال الحاكم: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح، الترمذي

والردّ على هذه الشبهة من وجوه:

أولا: أن الأعمى إنّما جاء إلى النبيّ صلى الله عليه و سلم، ليدعو له وذلك قوله: **" ادع الله أن يعافيني "** فهو قد توسل إلى لله تعالى بدعائه صلى الله عليه و سلم.

ثانياً: ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبيّ صلى الله عليه و سلم، أو جاهه، أو حقه، لما كان ثمة حاجه به إلى أن يأتي النبيّ ﷺ، ويطلب منه الدعاء له؛ بل كان يقعد في بيته ويدعو ربه بأن يقول مثلا: " اللَّهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني وتجعلني بصيرا ". ولكنه لم يفعل لماذا ؟ لأنَّه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنّه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة يذكر فيها اسم المتوسل به؛ بل لا بد أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب و السُّنة،وطلب الدعاء منه له.

ثالثاً: أن النبيّ صلى الله عليه و سلم وعده بالدعاء، مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له، وهو قوله صلى الله عليه و سلم: " إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك ".

رابعاً: إصرار الأعمى على الدعاء وهو قوله: " فادع " فهذا يقتضي أن الرسول صلى الله عليه و سلم، دعا له.

خامساً: وقد وجه النبيّ صلى الله عليه و سلم الأعمى بدافع من رحمته، وبحرص منه على أن يستجيب الله تعالى دعاءه فيه وجهه إلى النوع الثاني من التوسل المشروع، وهو التوسل بالعمل الصالح، ليجمع له الخير من أطرافه فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين، ثم يدعو لنفسه وهذه الأعمال طاعة لله سبحانه وتعالى يقدمها بين يدي دعاء النبيّ صلى الله عليه وسلم له وهي تدخل في قوله تعالى:

"وابتغوا إليه الوسيلة " كما سبق، وعلى هذا فالحادثة كلها تدور حول الدعاء - كما هو ظاهر - وليس فيها ذكر شيء ممّا يزعمون. (٨٣)

الشبهة السادسة: احتجاجهم ببعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة ومنها:

الحديث الضعيف " من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللَّهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا فإني، لم أخرج أشراً ولا بطراً... أقبل الله عليه بوجهه".(٨٤)

الحديث الثاني: احتجاجهم بالحديث الموضوع " لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟ قال يا رب لما خلقتني بيدك ونخفت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنَّك لم تضف إلى أسمك إلاّ أحب الخلق إليك فقال: غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك" (٨٥).

---

(٨٣) انظر: كتاب التوسل للشيخ الألباني، نقلت منه هنا مختصرا حسب ما يقتضيه المقام.

(٨٤) رواه ابن ماجة، في المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة، رقم (٧٧٨) ، و الإمام أحمد في " المسند " ١١١٥٦، وابن السني في " عمل اليوم والليلة " رقم (٨٣) ، والدارقطني في " الأفراد "، والطبراني في "الدعاء" (٤٢١) ، وقد ضعّف الحديث غير واحد من الحفاظ، كالمنذري في "الترغيب" والنووي وشيخ الإسلام،ابن تيمية في "القاعدة الجليلة" وكذا البوصيري، فقال في "مصباح الزجاجة" (٥٢/٢) : هذا إسناد مسلسل بالضعفاء: عطية وفضيل بن مرزوق والفضل بن الموفق كلهم ضعفاء، وضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٢٤.

(٨٥) أخرجه الحاكم في " المستدرك " (٢ / ٦١٥) ،وعنه ابن عساكر (٢ / ٣٢٣) ،وكذا البيهقي في باب ما جاء فيما تحدث به صلى الله عليه وسلم بنعمة ربه من " دلائل النبوة " (٥ / ٤٨٨) ، وصححه الحاكم في المستدرك، وهو ممّا انتقده العلماء على الحاكم، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٥٤) ،والذهبي في ميزان الاعتدال وابن كثير في التاريخ، (٢ / ٣٢٣) وابن حجر في لسان الميزان، وقال الشيخ الألباني موضوع، السلسلة الضعيفة، ١/ ٨٨، وانظر: كتاب التوسل للشيخ الألباني رحمه الله.

الحديث الثالث: "توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم" [٨٦]، وهو حديث باطل.

الشبهة السادسة: قولهم التوسل بالصالحين، من باب تقديم أهل الفضل والإحسان بين يدي السؤال كما ان ملوك الدنيا يُقدم بين ايديهم، من يرضون لطلب الشفاعة منهم، وهذا باطل لأنه يلزم منه تشبيه الخالق الغني العليم الخبير، بالمخلوق الضعيف.

ومنهم من يحتج بطلب أهل الموقف الشفاعة من الأنبياء، وهذا لا حجة فيه لأنه يدخل ضمن التوسل بدعاء الرجل الصالح.

فإذا تبين أن التوسل بجاه الرسول ﷺ ممنوع لما تقدم فكيف بمن هو دونه؟

ومن هذا يتبين ضلال من عكف على قبور الصالحين أو غيرهم، من المجهولين، يتوسل بهم ويزيد على ذلك بتقديم القربات والعبادات اليهم، والله المستعان.

فلابد ان يعي طلبة العلم والخطباء والوعاظ خطورة الأم، ويبينوا للناس أهمية التوحيد وخطورة الشرك، وان يسعوا لبيان الوسائل، الذرائع المؤدية اليه، والتحذير منها.

المسألة الثالثة: معرفة معنى الشفاعة و أنواعها.

الشفاعة لغة: الشَّفاعةُ: كلامُ الشَّفيع للمَلِك فِي حَاجَةٍ يسأَلُها لِغيرِه. وشَفَعَ إليه: فِي معْنَى طَلَب إليه. [٨٧]

أما في الاصطلاح: فهي "التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة" انتهى [٨٨].

والشفاعة نوعان: النوع الأول: شفاعة ثابتة صحيحة:

---

(٨٦) قال الشيخ الألباني: وبعضهم يرويه بلفظ: باطل "إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم" هذا باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث البتة، وإنما يرويه بعض الجهال بـ السُّنَّة كما نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه في "القاعدة الجليلة".

(٨٧) انظر لسان العرب، ابن منظور (٨/ ١٨٤)

(٨٨) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين (٢/٤٥).

وهي التي أثبتها الله - تعالى - في كتابه، أو أثبتها رسوله ﷺ، ولا تكون إلاَّ لأهل التوحيد والإخلاص؛ و لها شروط ثلاثة:

الشرط الأول: رضا الله عن الشافع.

الشرط الثاني: رضا الله عن المشفوع له.

الشرط الثالث: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع.

قال تعالى: ﴿**وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلاَّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**﴾، وقال تعالى: ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلاَّ بإذنه**﴾، ومنها ماهو خاص بالنبيّ ﷺ كالشفاعة العظمى، لأهل المحشر، ومنها مايشاركه غيره فيها، من الأنبياء والشهداء، والصالحين.

النوع الثاني: الشفاعة الباطلة التي لا تنفع أصحابها:

وهي ما يدعيه المشركون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله ﷻ فإنَّ هذه الشفاعة لا تنفعهم، فتعلق المشركين بآلهتهم يعبدونها ويقولون: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾،تعلق باطل غير نافع، بل هذا لا يزيدهم من الله - تعالى - إلاَّ بعداً على أن المشركين يرجون شفاعة أصنامهم بوسيلة باطلة وهي عبادة هذه الأصنام. [٨٩]

---

(٨٩) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين (٧/ ٧١) .

قال الشيخ رحمه الله :

والقاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عبادتهم منهم من يعبد الملائكة. ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين. ومنهم من يعبد الأشجاروالأحجار. ومنهم من يعبد الشمس والقمر. وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم. والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِوَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً﴾.

ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾.

هذه هي القاعدة الثالثة، وملخصها أنّه لافرق بين من عبد الحجر والشجر، وبين من عبد الملائكة والأنبياء، فالجميع يشملهم وصف الشرك، وهذا من قبح الشرك أن المشركين لايجتمعون؛ بل هم متفرقفون إلى فرق وطرائق شتى، وتوحيد الله يجمع النَّاس، [٩٠] فالرسول الله ﷺ، بُعث إلى أُناس متفرقين، كلٌ يعبد مايريد، فمنهم من يعبد البشر ومنهم من يعبد الحجر، ومنهم من يعبد الجنَّ، ومنهم من يعبد الملائكة، فدعاهم إلى توحيد الله

(٩٠) قال الشيخ العلاّمة الفوزان في شرح القواعد الأربع: " وهذا من قبح الشرك أنّ أصحابه لا يجتمعون على شيء واحد، بخلاف الموحّدين فإنّ معبودهم واحد. سبحانه وتعالى. { أأربابٌ متفرّقون خيرٌ أمِ الله الواحد القهّار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سمّيتموها }، فمن سلبيّات الشرك وأباطيله: أنّ أهله متفرّقون في عباداتهم لا يجمعهم ضابط " انتهى.

تعالى، فاستجاب له من كتب الله له الهداية من العرب والعجم، وممَّن كان يعبد الحجر، أوالشجر أو النار أو الشمس والقمر، وغيرها من المعبودات بغير حق، فتوحدت قلوبهم على عبادة الله تعالى فكانت أمة الإسلام العزيزة القوية المَوحدة على التوحيد، فلمَّا ظهر الشرك وانتشرت البدع بعد ذلك أصاب الأمة ما أصابها من التفرق والاختلاف وفي ذلك أكبر دليل وأقوى ردٍّ على دعاة الأحزاب الذين يشوشون على دعوة التوحيد وأنّها تُفرِق بين المسلمين،يريدون بذلك السكوت عن الشرك وأهله، وعن البدع وأهلها.

ثم ذكر الشيخ الأدلة على هذه القاعدة، وساق الأدلة على تنوع شرك المشركين، وسنقف قليلاً مع هذه الأدلة وبيان معناها، ضمن المسائل التالية.

المسألة الأولى: معنى قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾.

قال البغوي: "قاتلوهم، يعني: المشركين، حتى لا تكون فتنة،أي: شرك، يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني إلاَّ الإسلام فإنّ أبى قتل، ويكون الدين، أي: الطاعة والعبادة لله وحده، فلا يعبد شيء دونه"[٩١] انتهى.

فمعنى الفتنة هنا الشرك، وهذا يعني انّ الله أمر بقتال أهل الشرك دون تفريق بين من كان يعبد الشمس والقمر، وبين من كان يعبد الأنبياء والصالحين.

(٩١) تفسير البغوي، لابي محمد الحسين بن مسعود البغوي (١/ ٢٣٨)

فائدة:

أصل كلمة الفتنة، مأخوذ من قولك: فتنتُ الفضة والذهب أذبتُها بالنار؛ ليتميز الرديء من الجيد، ومن هذا قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]، أي: يحرقون» [٩٢]

ولفظة الفتنة لها معانٍ كثيرة، تفهم حسب السياق منها:

١- الكفر، قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١].

٢ - الإزالة والصرف عن الشيء، ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا﴾ [الإسراء: ٧٣]، أي: ليصرفونك [٩٣].

٣ - القتل، قال تعالى: ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [النساء: ١٠١] أي: يغتالكم ويقتلكم [٩٤].

٤ - الإضلال، قال تعالى: ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ [الصافات: ١٦٢] أي: بمضلين أحدًا [٩٥].

٥ - العذاب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٤] أي: عذابكم [٩٦].

٦ - الإحراق بالنار﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [٩٧] [البروج: ١٠] أي: عذبوا وأحرقوا. [٩٨]

---

(٩٢) تهذيب اللغة ١٤/٢١١.

(٩٣) معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي ٥/ ١١١.

(٩٤) معالم التنزيل ٢/ ٢٧٤.

(٩٥) معالم التنزيل ٧/ ٦٣.

(٩٦) معالم التنزيل ٨/ ١٩١.

(٩٧) معالم التنزيل ٨/ ٣٨٨.

(٩٨) وغيرها من المعاني وقد جمعت بعضها في رسالة صغيرها بعنوان"رؤية شرعية للفتن والأحداث العراقية"

المسألة الثانية: معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٩٩)﴾ [فصلت: ٣٧].

(الآية): معناها العلامة والجمع (آي) و (آياي) و (آيات) (١٠٠)

و الآيات على نوعين:

الآيات الكونية

الآيات الشرعية.

فالكونية هي المخلوقات، والشرعية هي الوحي الذي أنزله الله على رسله" (١٠١)

والشمس والقمر من آيات الله الكونية، ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا، فَقُومُوا، فَصَلُّوا» (١٠٢)

و في الآية السابقة دلالة على أن الشمس والقمر كانتا تعبد من دون الله، ووجه الاستدلال بأنّ الله جَلَّ وَعَلَا نهى عن السجود لها، وعبادة الكواكب قديمة منذ زمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وقد ذكر الله جَلَّ وَعَلَا قصة ابراهيم في القرآن، وكيف ناظر قومه الذين يعبدون الكواكب، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥)

---

(٩٩) فائدة لغوية: إنما قال خلقهن بالتأنيث لأنه أجراها على طريق جمع التكسير، ولم يجرها على طريق التغليب للمذكر على المؤنث" تفسير البغوي (٤/ ١٣٤).

(١٠٠) انظر: مختار الصحاح (ص: ٢٧).

(١٠١) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص: ٤٧).

(١٠٢) رواه البخاري باب الصلاة في كسوف الشمس رقم ١٠٤١، ومسلم في الكسوف باب ذكر النداء بصلاة الكسوف الصلاة الجامعة رقم (٩١١).

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾.

وفي هذه الآيات اقام ابراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، البرهان الصادق الواضح، على بطلان عبادة النجوم والكواكب والشمس والقمر، فتبرأ من الشرك، وأذعن بالتوحيد، وأقام على ذلك البرهان [وهذا هو الصواب في تفسير هذه الآيات، وهو أن المقام مقام مناظرة، من إبراهيم لقومه، وبيان بطلان إلهية هذه الأجرام العلوية وغيرها، وأمّا من قال: إنه مقام نظر في حال طفوليته، فليس عليه دليل] [١٠٣].

فائدة: نهى النبيّ عليه الصلاة والسلام، عن السجود عند طلوع الشمس وغروبها سداً لذريعة الشرك، وعدم مشابهة الكفار.

قَالَ عليه الصلاة والسلام وهو يعلم أحد الصحابة أوقات الصلاة: " ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ» [١٠٤]

---

(١٠٣) انظر تفسير السعدي رحمه الله (١/ ٢٦٢) .

(١٠٤) والصحابي هو عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ رضي الله عنه وقصة اسلامه رواها الامام مسلم باب قصة اسلام عمرو بن عبسة، رقم ٨٣٢.

فائدة: بيان معنى سجود الشمس للرحمن تحت العرش.

أهل السُّنة ينظرون إلى الحديث من جهتين من جهة ثبوته ومن جهة دلالته:

فإذا ثبت عندهم الحديث، فيؤمنون بدلالته على مراد رسول الله ﷺ، ولا يتكلفون في رده أو تحريف معناه عن ظاهره، ومن الأحاديث التي كثر فيها النزاع بين أهل السُّنة وبين خصومهم، حديث سجود الشمس للرحمن تحت العرش، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨] "[١٠٥] هذا لفظ البخاري وعند مسلم،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالُ لَهَا ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ ذَاكَ حِينَ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [١٠٦]

---

(١٠٥) رواه البخاري باب صفة الشمس والقمر بحسبان رقم ن ٣١٩٩.

(١٠٦) رواه مسلم باب الزمن الذي لا يقبل فيه إيمان رقم ٢٢٨.

نقل العيني في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/ ١١٩): عدة أقوال في بيان معنى الحديث فقال رحمه الله : "فإن قلت: ما المراد بالسجود إذ لا جبهة لها، والانقياد حاصل دائما؟

قلتُ: الغرض تشبيهها بالساجد عند الغروب.

فإن قلتَ: يرى أنها تغيب في الأرض، وقد أخبر الله تعالى أنها تغرب في عين حمئة، فأين هي من العرش؟

قلتُ: الأرضون السبع في ضرب المثال كقطب الرحى، والعرش لعظم ذاته كالرحى، فأينما سجدت الشمس سجدت تحت العرش، وذلك مستقرها.

فإن قلتَ: أصحاب الهيئة قالوا: الشمس مرصعة في الفلك فإنّه يقتضي أن الذي يسير هو الفلك، وظاهر الحديث أنَّها هي التي تسير وتجري؟

قلتُ: أما:

أولاً: فلا اعتبار لقول أهل الهيئة عند مصادمة كلام الرسول ﷺ، وكلام الرسول ﷺ هو الحق لا مرية فيه، وكلامهم حدس وتخمين، ولا مانع في قدرة الله تعالى أن تخرج الشمس من مجراها وتذهب إلى تحت العرش فتسجد ثم ترجع.

فإن قلتَ: قال الله تعالى: ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ (الأنبياء: ٣٣، يس: ٤٠). أي: يدورون.

قلتُ: دوران الشمس في فلكها لا يستلزم منع سجودها في أي موضع أراده الله تعالى، وقال بعضهم: يحتمل أن يكون المراد بالسجود من هو موكل بها من الملائكة.

قلتُ: هذا الاحتمال غير ناشىء عن دليل فلا يعتبر به، وهو أيضاً مخالف لظاهر الحديث، وعدول عن حقيقته.

وقيل: المراد من قوله: تحت العرش، أي: تحت القهر والسلطان.

قلتُ: لماذا الهروب من ظاهر الكلام وحقيقته؟

على أنا نقول: السموات والأرضون وغيرهما من جميع العالم تحت العرش، فإذا سجدت الشمس في أي موضع قدره الله تعالى يصح أن يقال: سجدت تحت العرش، وقال ابن العربي: وقد أنكر قوم سجود الشمس وهو صحيح ممكن.

قلتُ: هؤلاء قوم من الملاحدة لأنهم أنكروا ما أخبر به النبي ﷺ وثبت عنه بوجه صحيح: ولا مانع من قدرة الله تعالى أن يمكن كل شيء من الحيوان والجمادات أن يسجد له".

سئل الإمام ابن باز عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ؟

ج: هذه الآية الكريمة فسرها الرسول ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه، وهو قوله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ذكر النبي ﷺ لأبي ذر، قال: «يا أبا ذر أتدري ما مستقرها؟ فقال أبو ذر: الله ورسوله أعلم. قال ﷺ : مستقرها أنها تسجد تحت عرش ربها ﷻ ذاهبة وآيبة بأمره سبحانه وتعالى" (١٠٧)

(١٠٧) مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ٢٩٤)

قال المصنف رحمه الله :

ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً﴾

وهذا الدرس مكمل لما قبله، فيما يتعلق بالقاعدة الثالثة،ساق المؤلف رحمه الاية من آل عمران لبيان بطلان من عبد الملائكة والنبيين من دون الله.

أي: والدليل على أن هناك من يعبد الملائكة من دون الله هو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾.

المسألة الأولى: في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠].

أي: يمتنع ويستحيل كل الاستحالة لبشر منَّ الله عليه بالوحي والكتاب والنبوة، وأعطاه الحكم الشرعي أن يأمر الناس بعبادته، ولا بعبادة النبيين والملائكة واتخاذهم أربابا، لأن هذا هو الكفر، فكيف، وقد بعث بالإسلام المنافي للكفر من كل وجه، فكيف يأمر بضده؟!! هذا من الممتنع، لأن حاله وما هوعليه، وما من الله به عليه من الفضائل والخصائص تقتضي العبودية الكاملة، والخضوع التام لله الواحد القهار.

وهذا جواب لوفد نجران، حين تمادى بهم الغرور، ووصلت بهم الحال والكبر أن قالوا: أتامرنا - يا محمد - أن نعبدك؟

حين أمرهم بعبادة الله وطاعته، فبين الباري انتفاء ما قالوا، وأن كلامهم وكلام أمثالهم في هذا ظاهر البطلان. (١٠٨)

---

(١٠٨) انظر: تفسير السعدي (ص: ٩٦٩) .

المسألة الثانية: تعريف الملائكة، ووجوب الإيمان بوجودهم.

الملائكة جمع ملك خلقهم الله من نور(١٠٩) ولقد جاءت النصوص في بيان أوصافهم، وأعمالهم فوجب الإيمان بها:

فمن أوصافهم وأعمالهم:

١ - الملائكة الموكلة بالرحم: كما في حديث ابن مسعود" حديث الصادق المصدوق"

٢ - الملائكة الكتبة: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

٣ - ملك الموت: قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

٤ - خزنة جهنم. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾

٥ - حملة العرش. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ وغيرها من الاوصاف والاعمال التي جاءت بها النصوص. والإيمان بالملائكة: اجمالاً وتفصيلا..

اجمالا: أي: التصديق بوجودهم، وتفصيلاً، معناه التصديق بما ورد من اسمائهم وأعمالهم وصفاتهم وهم أجساد، بدليل قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر، ١]، ورأى النبي ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح قد سد الأفق،خلافاً لمن قال: إنهم أرواح. "(١١٠)

---

(١٠٩) انظر شرح الواسطية واتحاف القاري للشيخ الفوزان.

(١١٠) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ٦٤) .

المسألة الثالثة: معنى الإيمان بالأنبياء والرسل:

الإيمان بالرسل: معناه الإيمان بأنَّ الله بعث رسلاً من البشر يدعون أقوامهم إلى الله، وأمروهم بتبليغ الشرع وأيدهم بالمعجزات، ولازم هذا الإيمان وثمرته تصديقهم بما أخبروا وطاعتهم بما أمروا، أجمالاً وتفصيلاً، وخاتمهم محمد ﷺ، ورسالته ناسخة لجميع الأديان.

رابعاً: من الإيمان بالرسل السيِّر على منهجهم، فأننا نعيش في هذه الأزمنة الأخيرة صراعات منهجية كبيرة، وكثيرة والسبب هو عدم فهم منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله.

فائدة: هناك فرق بين معنى الرسول ومعنى النبيّ واختلف أهل العلم في بيان الفرق بينهما والراجح من أقوال أهل العلم هو: أن النبي يأتي بشريعة من قبله ويؤمر بتبليغها كأنبياء بني إسرائيل والرسول يبعث بشريعة منزلة عليه لأناس مخالفين وكلاهما يوحى إليه.

قال المصنف رحمه الله: ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً﴾.

ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

أي والدليل على أن هناك من يعبد الأنبياء قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وسنتحدث في هذا الدرس عن المعاني التي دلّت عليه هذه الآية الكريمة ضمن المسائل التالية:

المسألة الأولى: إثبات صفة القول والكلام لله تعالى.

ودليل ذلك من القرآن و السُّنة:

١ - من القرآن قوله سبحانه في هذه الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ وقوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ سورة المائدة ١٢٠.

٢ - ومن السُّنة:

حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النبيّ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ أهل الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأهل النَّارِ النَّارَ»، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ

خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَا، أَوِ الحَيَاةِ - شَكَّ مَالِكٌ- فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً» [(١١١)]

قال الشيخ العثيمين ﷺ : "ففي هذا إثبات أن الله يقول: وأن قوله مسموع، فيكون بصوت وأن قوله كلمات وجمل فيكون بحرف.

ولهذا كانت عقيدة أهل السُّنة والجماعة: أن الله يتكلم بكلام حقيقي متى شاء كيف شاء، بما شاء بحرف وصوت، لا يماثل أصوات المخلوقين". [(١١٢)]

ومن الأدلة على إثبات صفة الكلام لله تعالى:

أولاً: من القرآن:

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٦٤]

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾، [سورة الأعراف ١٤٣] [(١١٣)]

ثانياً: من السُّنة.

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كَانَ النبيّ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ بِالْمَوْقِفِ، فَقَالَ: " أَلاَ رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؟ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلاَمَ رَبِّي " [(١١٤)].

---

(١١١) أخرجه البخاري باب تفاضل أهل الإيمان، رقم (٢٢) ، و مسلم في الإيمان باب إثيات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار رقم: (١٨٤) .

(١١٢) شرح العقيدة الواسطية، للشيخ للعثيمين (١/ ٤١٩) .

(١١٣) انظر: مجموع فتاوى الشيخ العثيمين، (٨/ ٣٥٧) .

(١١٤) رواه أبو داود في السُّنَّة، باب في القرآن، رقم (٤٧٣٤) ، والترمذي في ثواب القرآن، باب عرض النبيّ صلى الله عليه وسلم على تبليغ القرآن، رقم (٢٩٢٦) ،وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب،وصححه الشيخ الألباني، رقم، (١٩٤٧) .

ووجه الدلالة: قوله عليه الصلاة والسلام " منعوني أن أبلغ كلام ربي" وهو القرآن. و عنْ عدِيِّ بْنِ حاتِمٍ، قَال: قَال رسُولُ الله ﷺ : "مَا مِنْكُمْ مِنْ رَجُلٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، "(١١٥).

المسألة الثانية: إثبات نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام.

عيسى عليه الصلاة والسلام أحد الرسل الذين ارسلهم الله جَلَّوَعَلَا إلى بني إسرائيل، وهو من أولي العزم، فنشهد أنه عبد الله ورسوله، وأن أمه صديقة، كما أخبر الله تعالى بذلك، وأنَّها أحصنت فرجها، وأنَّها عذراء، جاء ذكرها في القران في عدة آيات وسميت سورة في القرآن باسمها، ومثل عيسى عليه الصلاة والسلام عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له: كن، فيكون،وقد تطرف في عيسى طائفتان:

الأولى: اليهود كذَّبوه، فقالوا: بأنَّه ولد زنى، وأن أمه من البغايا، وأنَّه ليس بنبي.

الثانية: النصارى قالوا: إنه ابن الله، وإنه ثالث ثلاثة، وجعلوه إلها مع الله، وكذبوا فيما قالوا"(١١٦).

---

(١١٥) البخاري، في الرقاق، بَاب من نُوقِش الحساب عُذِّب رقم (٦٥٣٩) ، وأخرجه مسلم،، في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، رقم (١٠١٦) ، والترمذي،، في صفة القيامة في القيامة في شأن القصاص رقم، (٢٤٢٧) .

(١١٦) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٧٣) .

المسألة الثالثة: إثبات صفة العلم لله تعالى.

صفة العلم لله تعالى ثابتة في القرآن والسُّنة المطهرة، والإجماع:

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ:٢].

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

وقوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [الطلاق: ١٢]

كل هذه الأشياء معلومة عند الله سبحانه وتعالى ومكتوبة عنده في اللوح المحفوظ، كما في الحديث الصحيح قال عليه الصلاة والسلام: (إن أوَّلَ ما خلقَ الله القلمُ، فقال له: اكتُبْ، قال: ربَّ، وماذا أكتُبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كل شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ" [١١٧]، فكتب في تلك اللحظة ما هو كائن إلى يوم القيامة[١١٨].

---

(١١٧) رواه أبو داود، باب في القدر، (٤٧٠٠) ، والترمذي، باب ومن سورة نون (٢١٥٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ورواه أحمد (٥/ ٣١٧) ، والحاكم (٢/ ٤٩٨) وصححه، والحديث صححه الألباني في "الصحيحة" (١٣٣) .

(١١٨) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ١٩٨) .

المسألة الرابعة: ورد في القرآن الكريم، و السُّنة المطهرة، إضافة، (النفس) إلى الله تعالى، قال تعالى:

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ وقال ﷻ : ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ وقال ﷻ لموسى عليه السلام : ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾. وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾

وفي الحديث القدسي: (يقول الله ﷻ : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن اقترب إلي شبرًا اقتربت إليه ذراعًا، وإن اقترب إلي ذراعاً اقتربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها كان النبيُّ ﷺ يقول: (... وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)

وهل أن النفس هي الذات، أم صفة ذاتية لله تعالى على قولين لأهل العلم:

القول الأول: إنّها من الصفات.

القول الثاني: أن المراد بالنفس هو ذات الله جَلَّ وَعَلَا المقدسة، وهذا ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره من المحققين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن نَفْس الله: "ونفسه هي ذاته المقدسة".

وقال أيضاً: "ويراد بنَفْس الشيء ذاته وعينه؛ كما يقال: رأيت زيداً نفسه وعينه"

قال الشيخ ابن عثيمين: (نفس الشيء هو الشيء، فقوله تعالى: وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ أي: يحذركم إياه، وليست النفس شيئاً آخر، والله شيئاً آخر، الله هو النفس، وكذلك قوله:

تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ولا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ، أي: تعلم ما عندي أنا في نفسي ولا أعلم ما في نفسك، فليست النفس صفة زائدة على الذات، بل هي الذات نفسها"

فائدة في بيان: معنى التسبيح وفضله.

معنى التسبيح: التسبيح بمعنى التنزيه؛ وسبحان الله معناه التنزيه لله من كل نقص [١١٩]، والكون كله يسبح بحمده تعالى، قال تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النبيّ ﷺ قَالَ: " كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ " [١٢٠] فسبحان الله تنزيه الله جَلَّ وَعَلَا من كل نقص، والحمد لله الثناء على الله، بكل صفات الكمال.

(١١٩) انظر: مختار الصحاح، (١/ ٣٢٦).

(١٢٠) أخرجه البخاري في آخر الصحيح، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ} [الأنبياء: ٤٧]، وَأَنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلَهُمْ يُوزَنُ، رقم ٧٥٦٣، ومسلم رقم ٢٦٩٤، باب فضل التهليل والتسبيح،

قال الشيخ ﷺ :

ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾.

ودليل الأشجاروالأحجارقوله تعالى: ﴿أَفَرَ أَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾، وحديث أبي و اقد الليثي رضي الله عنه قال: "خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط. فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط". الحديث.

المسألة الأولى:

الدليل على أن من الناس من يعبد الصالحين قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وسبق الكلام عن معاني هذه الآية في شرح القاعدة الثانية.

المسألة الثانية:

ذكر المصنف أن الدليل على وقوع عبادة الأحجار والأشجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠].

وهي ثلاثة أصنام كانت تُعبد من دون الله:

أولاً: اللاّت: وهو صنم كان يعبده أهل الطائف ومن حولهم من العرب وقيل أن أصل التسمية أنه كان رجل يلتُّ السويّق للحجاج، أي: يجعل فيه السمن، ويطعمه الحجاج، فلمَّا مات عكفوا على قبره وجعلوه صنماً، وسمّوه الاّت.

وقيل إن اللات مشتقة من الله، أو من الإله.

قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا اللات، يعنون مؤنثة منه، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وحكي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنّهم قرءوا اللاّت بتشديد التاء،وفسروه بأنَّه كان رجلاً يلت للحجيج في الجاهلية السويق، فلمَّا مات عكفوا على قبره فعبدوه.

وقال البخاري: حدثنا مسلم هو ابن إبراهيم، حدثنا أبو الأشهب، حدثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: اللات والعزَّى قال: كان اللات رجلاً يلت السويق سويق الحاج" (١٢١)

ثانياً: العُزَّى: وهو صنم يعبده قريش، كان بنخلة بين مكة والطائف.

قال ابن جرير: "وكذا العُزَّى من العزيز، وكانت شجرة عليها بناء وأستار" (١٢٢)

وكانوا يسمونها باسم الإناث، فيقولون: اللات والعُزَّى ومناة، وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة: أنثى بني فلان فكان في كل واحدة منهن شيطان يتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم، فلذلك قال: تعالى ﴿**إن يدعون من دونه إلاَّ إناثا وإن يدعون إلاَّ شيطاناً مريداً (١١٧) لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً (١١٨)**﴾ (١٢٣).

ثالثاً: مناة: قيل: مشتقة من المنَّان، وقيل: من منى؛ لكثرة ما يمنى عنده من الدماء بمعنى يراق، ومنه سميت منى؛ لكثرة ما يراق فيها من الدماء.

---

(١٢١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٢

(١٢٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٢) .

(١٢٣) انظر: تفسير البغوي، (١/ ٧٠٢) .

وكان هذا الصنم بين مكة والمدينة لهذيل وخزاعة، وكان الأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج. "(١٢٤)

فائدة: هناك قصة لا تصح يذكرها أهل التفسير في كتبهم تسمى (قصة القرانيق). وهذه القصة ذكرها المفسرون عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢ - ٥٤]

ونص القصة كما رواها، سعيد بن جبير قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ [النجم: ١٩]، قرأها رسول الله ﷺ فقال: "تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترجى" فسجد رسول الله ﷺ، فقال المشركون: إنه لم يذكر آلهتهم قبل اليوم بخير، فسجد المشركون معه، فأنزل الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ..﴾ [الحج: ٥٢] إلى قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥] (١٢٥)

---

(١٢٤) انظر: كتاب القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ العثيمين، (١/ ١٩٧).

(١٢٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم ١٢٤٥٠،وابن جرير "١٧/ ١٢٠"و السيوطي في "الدر المنثور: ٤/ ٣٦٦" وانظر تخريج الحديث، وبيان طرقه وعلله رسالة قيّمة للشيخ المُحدث الألباني بعنوان (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق).

ذكر الشيخ ﵀ حديث أَبِي وَ اقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : سُبْحَانَ اللهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ.[١٢٦]

المسألة الأولى: ترجمة مختصرة للصحابي الجليل أبي واقد الليثي.

اختلف في اسمه، فقيل: الحارثُ بن عوف، وقيل: عوفُ بن الحارث، وقيل: الحارثُ بن مالك.

قال البخاري وابنُ حبان وأبو أحمد الحاكم والباوَرْديُّ: إنه شهد بدراً.

وقال ابن عبد البر: قيل: شهد بدراً وردَّه الذهبي في "تجريد أسماء الصحابة"، فقال: ليس بشيء. وقال المزي: في شهودِه بدراً نظرٌ. وقال ابن حجر في "الإصابة": لا يَثبُتُ.

وقد أنكر أبو نُعيم فيما نقله ابن حجر على مَن قال: إنه شهد بَدراً، وقال: بل أسلم عامَ الفتح، أو قبلَ الفتح، وقد شهد على نفسه أنه كان بحُنين، واختُلِفَ في سنة وفاته، ورجح ابن حجر في "التقريب" أنه توفي سنة ثمان وستين وهو ابن خمس وثمانين. [١٢٧]

---

(١٢٦) رواه الترمذي باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، ورواه أحمد في المسند رقم ٢١٩٠٠، وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٧٦٣) ، وابن ابي عاصم في "السنة" (٣٨) ، والنسائي في "الكبرى" (١١١٨٥) . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ٢١٨٠، وظلال الجنة رقم ٧٦.

(١٢٧) انظر "تجريد أسماء الصحابة" ٢/٢١٠، و"التاريخ الكبير" ٢/٢٥٨، و"تهذيب الكمال" ٣٤/٣٨٦-٣٨٧، و"سير أعلام النبلاء" ٢/٥٧٤-٥٧٦، و"الإصابة" ٧/٤٥٥-٤٥٧، و"الاستيعاب" ٤/٢١١-٢١٢، و"أسد الغابة" ٦/٣٢٥-٣٢٦، ومسند الإمام أحمد تحقيق شعيب الأرنؤوط (٣٦/ ٢٢٢)

المسألة الثانية: التعريف بمعركة حنين.

هي: من معارك وغزوات النبي صلى عليه وسلم المهمة، جاء ذكرها في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦)﴾.

ذكر أهل السير والمغازي أنّ النبيّ ﷺ خرج في جيشه الذي جاء معه للفتح، وهم عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب، ومعه الذين أسلموا من أهل مكة، وهم الطلقاء في ألفين أيضاً، فسار بهم إلى العدو، فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له "حنين"، فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غلس الصبح.[١٢٨]

ومن الفوائد المستنبطة من هذه الغزوة:

١ - أن النصر من الله وحده، ليس بالعدد والعدة،فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئا فولوا مدبرين إلاّ القليل منهم مع رسول الله ﷺ،ثم أنزل الله نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه.[١٢٩]

٢ - شجاعة النبي ﷺ، في المعركة، وشدة توكله على الله تعالى

ففي الصحيحين عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ، فَانْهَزَمُوا فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الغَنَائِمِ، وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ،

(١٢٨) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ١٢٤)

(١٢٩) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٢٥)

فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ البَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ» (١٣٠) هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم (وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شُبَّانُ أَصْحَابِهِ، وَأَخِفَّاؤُهُمْ حُسَّرًا، لَيْسَ عَلَيْهِمْ سِلَاحٌ - أَوْ كَثِيرُ سِلَاحٍ -، فَلَقُوا قَوْمًا رُمَاةً لَا يَكَادُ يَسْقُطُ لَهُمْ سَهْمٌ، جَمْعَ هَوَازِنَ وَبَنِي نَصْرٍ، فَرَشَقُوهُمْ رَشْقًا مَا يَكَادُونَ يُخْطِئُونَ، فَأَقْبَلُوا هُنَاكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَقُودُ بِهِ، فَنَزَلَ فَاسْتَنْصَرَ، وَقَالَ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ»، ثُمَّ صَفَّهُمْ)

قال ابن كثير: " وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، إنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى، وقد انكشف عنه جيشه، هو مع ذلك على بغلة وليست سريعة الجري، ولا تصلح لكر ولا لفر ولا لهرب، وهو مع هذا، أيضا يركضها إلى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين، وما هذا كله إلاَّ ثقة بالله، وتوكلا عليه، وعلما منه بأنه سينصره، ويتم ما أرسله به، ويظهر دينه على سائر الأديان " (١٣١)

المسألة الثالثة: معنى ذات أنواط..

"ذات أنواط" هي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم: أي يعلقونه بها، ويعكفون حولها، فسألوه أن يجعل لهم مثلها، فنهاهم عن ذلك.

وأنواط: جمع نوط، وهو مصدر سمي به المنوط. (١٣٢)

---

(١٣٠) باب من قاد دابة غيره في الحرب، رقم (٢٨٦٤) ، ومسلم باب غزوة حنين، رقم (١٧٧٦)

(١٣١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٢٨) .

(١٣٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٢٨) .

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: "ولقبت بهذا اللقب لأنه تناط فيها الأسلحة، وتعلق عليها رجاء بركتها، فالصحابة رضي الله عنهم قالوا للنبي ﷺ "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط"؟ أي: سدرة نعلق أسلحتنا عليها تبركا بها، فقال النبي ﷺ "الله أكبر"، كبَّر تعظيما لهذا الطلب، أي: استعظاما له، وتعجبا لا فرحا به، كيف يقولون هذا القول؟ وهم آمنوا بأنه لا إله إلا الله؟! لكن: "إنها السنن" أي: الطرق التي يسلكها العباد.

وشبهه الرسول ﷺ طلبهم بطلب بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ﴾، أي: إن الرسول ﷺ قاس ما قاله الصحابة رضي الله عنهم على ما قاله بنو إسرائيل لموسى حين قالوا: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، فبعض الصحابة رضي الله عنهم طلب ذات أنواط كما أن للمشركين ذات أنواط.

وهم إنما أرادوا أن يتبركوا بهذه الشجرة لا أن يعبدوها، فدل ذلك على أن التبرك بالأشجار ممنوع، وأن هذا من سنن الضالين السابقين من الأمم، وفي الحديث أن الذي طلب ذلك هم حدثاء العهد بالكفر كما في في قول أبي واقد الليثي...) الحديث "[١٣٣]

(١٣٣) انظر: القول المفيد شرح كتاب التوحيد للشيخ العثيمين (١/ ٢٠١) .

فائدة:

نهى الرسول ﷺ عن مشابهة الكفار في اعتقاداتهم الفاسدة وفي عباداتهم المبتدعة وفي اعيادهم قال شيخ الاسلام رحمه الله: "وقال الله سبحانه ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ الكهف٢١ فكان الضالون بل والمغضوب عليهم يبنون المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وقد نهى النبي ﷺ أمته عن ذلك في غير موضع حتى في وقت مفارقته الدنيا بأبي هو وأمي ثم إن هذا قد ابتلي به كثير من هذه الأمة. ثم إن الضالين تجد عامة دينهم إنما يقوم بالأصوات المطربة والصور الجميلة فلا يهتمون في أمر دينهم بأكثر من تلحين الأصوات ثم إنك تجد أن هذه الأمة قد ابتليت من اتخاذ السماع المطرب بسماع القصائد بالصور والأصوات الجميلة لإصلاح القلوب والأحوال ما فيه مضاهاة لبعض حال الضالين".

و لايشترط في المشابهة قصد المشابهة قال شيخ الاسلام رحمه الله في الاقتضاء "مخالفتهم مشروع سواء كان ذلك الفعل مما قصد فاعله التشبه بهم أو لم يقصد وكذلك ما نهى عنه من مشابهتهم يعم ما إذا قصدت مشابهتهم، أو لم تقصد فإن عامة هذه الأعمال لم يكن المسلمون يقصدون المشابهة فيها وفيها مالا يتصور قصد المشابهة فيه كبياض الشعر وطول الشارب ونحو ذلك"[١٣٤] انتهى.

وفي معنى قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ، إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) , يقول شيخ الإسلام: "وأهواؤهم هو ما يهوونه وما عليه المشركون من هديهم

(١٣٤) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٧٩

الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع ذلك فهم يهوونه وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه"

قال الشيخ رحمه الله :

القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركا من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائما في الرخاء والشدة.

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾

تمت وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

ذكر الشيخ رحمه الله أن المشركين على قسمين:

القسم الأول: الذين يشركون في حال الرخاء ويخلصون الدعاء عند الضراء.

وهم الذين ذكرهم الله جلّ وعلا في محكم التنزيل بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣)﴾

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)﴾

قال ابن كثير ﵀:

"يخبر تبارك وتعالى أن الناس إذا مسهم ضر دعوه منيبين إليه مخلصين له الدين ولهذا قال تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلاَّ إيَّاه﴾ أي ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله تعالى كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فاراً من رسول الله ﷺ حين فتح مكة فذهب هارباً فركب في البحر يدخل الحبشة فجاءتهم ريح عاصف فقال القوم بعضهم لبعض إنه لا يغني عنكم إلاَّ أن تدعوا الله وحده، فقال عكرمة في نفسه والله إن كان لا ينفع في البحر غيره فإنَّه لا ينفع في البر غيره! اللَّهم لك علي عهد لأن أخرجتني منه لأذهبن فلأضعن يدي في يد محمد فلأجدنه رؤوفاً رحيماً، فخرجوا من البحر فرجع إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه وأرضاه.

وقوله تعالى: ﴿فلما نجاكم إلى البر أعرضتم﴾ أي نسيتم ماعرفتم من توحيده وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له وكان الإنسان كفورا أي سجيته هذا ينسى النعم ويجحدها إلا من عصم الله". (١٣٥)

القسم الثاني: وهم الذي أشار إليهم الشيخ ﵀ ممّن يدعون غير الله ويطلبون منه الحاجات، ويستغيثون به ويطلبون منه الولد والرزق، والشفاء من الأمراض والنجاة من الكروب، وقلوبهم متعلقة بغير الله تعالى في الشدة والضراء، فلاشك أن من كان هذا حاله يفوق شركه شرك الأولين، وإن كانوا جميعاً في ضلال وشرك عظيم، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١٣٥) تفسير ابن كثير، (٥/ ٨٨)



نهاية الشرح

كتبه أبو معاذ المرداوي

في الأول من شهر محرم الحرام عام ١٤٣٧ في عمان البلقاء

وتمت مراجعته في الأول من صفر ١٤٤٠ في بغداد "دار السلام"

وصلِّ اللهم على رسوله وعلى آله وصحبه وسلم



تعليقات على

الأصول الستة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين الصّلاة والسّلام على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أمّا بعد..

هذه الرسالة المهمة التي ألفها الشيخ رحمه الله في باب بيان أصول أهل السنة والجماعة، وسماها "الاصول الستة"، وهي من الكتيبات المختصرة، في بيان عقيدة ومنهج أهل السنة،من صفات منهج الشيخ رحمه الله في التأليف الاختصار،حيث يذكر الأصول المستنبطة من الكتاب والسنة، أو يبوب بالأبواب، ثم يذكر في كل باب ما يدل عليه من الأيات أو الأحاديث وأقوال السلف،على طريقة أهل الحديث، انظر مثال ذلك كتابه المهم "التوحيد"، حيث ألفه على طريقة الأبواب، ثم يكتب تحت الباب ما يوضحه من الآيات والأحاديث، مثاله" بيان فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، و باب الخوف من الشرك،وقول الله عزوجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. فالأصول التي ذكرها الشيخ هنا في غاية الأهمية، في عقيدة العبد ومنهجه.

ونذكر هنا مسائل تحت كل عبارة من كلام الشيخ رحمه الله استجابة لرغبة بعض طلبة العلم.

قال المؤلف رحمه الله :

من أعجب العجاب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلّاب ستة أصول بينها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم، إلا أقل القليل!

المسألة الأولى: تعجب أهل العلم ممّا يقع في الأمة من جهل في أمور واضحات، وفيه بيان لحرص وشفقة العلماء على الناس، والتعجب.

المسألة الثانية: هل الغلاب من أسماء الله تعالى؟

لم أعثر على دليل يدليل أن الغلاب من أسماء الله، ولا أعلم أحداً من العلماء ذكره من الأسماء، لكن ورد أن من صفاته أنه غالب على مره، ولعل الشيخ أراد الإخبار عن الله جَلَّ وَعَلَا بذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).

قال ابن القيم:

وهو العزيز فلن يرام جنـــابه... أنى يرام جناب ذي السلطان

وهو العزيز القاهر الغلاب لم... يغلبه شيء هذه صفتـــــان

وهو العزيـــز بقوة هي وصفه... فالعز حينئذ ثلاث معـــــان[١٣٦]

المسألة الثالثة: الأصول التي ذكرها الشيخ بُينت في القرآن والسّنة بياناً تاماً، ومن العجائب أن كثيرًا من الأذكياء، غلطوا فيها.

---

(١٣٦) نونية ابن القيم، الكافية الشافية (ص: ٢٠٥)

المسألة الرابعة: الأذكياء الذين لم ينقادوا للشرع ليسوا بعقلاء عقل رشد، **فالعقل** على قسمين: عقل إدراك للمعلومة، وعقل رشد، هو من يقود صاحبه إلى الشرع.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿امْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ فالعقل الذي لا يدل صاحبه إلى الشرع، فهذا ليس بعقل، وصاحبه ليس بعاقل عقل رشد وهداية، فلذلك يقول الشيخ من العجيب أن كثيراً من الأذكياء ضلوا عن هذه الأصول المهمة، مع بيانها في القرآن غاية البيان والوضوح، وهذه من حكم الله جَلَّ وَعَلَا، فالله سبحانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، قال الله جَلَّ وَعَلَا ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

الأصل الأول: إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار، أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين و اتباعهم.

المسألة الأولى: معرفة التوحيد أول واجب على العبيد،وهذا ما دلّ عليه القرآن والسنة، فجميع الأنبياء دعوا إلى هذا الأصل العظيم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

المسألة الثانية: مسائل التوحيد بينت في القران،وبيّن ما يضاد التوحيد وهو الشرك، ففي أول سورة في القرآن، سورة الفاتحة، بين الله سبحانه وتعالى، فيها مسائل وأنواع التوحيد، في قوله تعالى " ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، دليل على توحيد الربوبية، في قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، دليل على توحيد العبادة لله تعالى، والسورة تضمنت على كثير من أسماء الله وصفاته، وهذا التوحيد يسمى توحيد الأسماء والصفات.

وبيّن الله تعالى أصول الاعتقاد في سورة البقرة، وآل عمران والأنعام، وغيرها من سور القرآن، فالقرآن فيه ذكر صفات الربوبية،وفيه الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له،وفيه بيان لذكر صفات أهل التوحيد،وصفات المعاندين للتوحيد، وفيه ذكر للجنة مستقر أهل التوحيد، وفيه ذكر للنار وبيان صفاتها نسأل الله السلامة والعافية ونعوذ بالله من نار جهنم، وهي جزاء أعداء الرسل، أو من استحق العقوبة ممّن وقع في ما يوجب

له العقوبة، بالاضافة إلى ما تضمنه من الأحكام الشرعية،وفيه بيان للأخلاق والسلوك، وفيه من قصص الأنبياء والرسل دعاة التوحيد

إلى آخر القرآن، سورة الناس، حيث تضمن معاني التوحيد: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾، فالقرآن من أوله إلى آخره في بيان التوحيد بأنواعه.

المسألة الثالثة: المعنى العام للتوحيد: هو أفراد الله تعالى بما يختص به من توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فتوحيد الألوهية: هو أفراد الله بالعبادة فلا تصرف العبادات إلا لله، والعبادات منها ما هو في القلب، ومنها ماهو في اللسان،ومنها ماهو في الجوارح، فالله هو المستحق للعبادة.

وتوحيد الربوبية: وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق، والملك والتدبير

وتوحيد الأسماء والصفات: وهو"إفراد الله تعالى بما سمى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل".

فالواجب على المسلمين أن يتعلموا التوحيد، فهو أول واجب وأعظم واجب، ويتعلموا ما يناقضه فهو أعظم ذنب وأخطره. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾،وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

المسألة الرابعة: منهج الأنبياء هو الدعوة إلى التوحيد مع اختلاف الأزمان والمكان والسلطان.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩ - ٦٢]

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣]

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥]

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٦١]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

كذلك جاءت النصوص من القرآن والسنة، في النهي عن الشرك سواء لفظاً، أو إعتقاداً أو فعلاً.

فقد نهى النبي ﷺ عن القسم بغير الله،فقال: "ألا مَن كانَ حالِفاً فلا يَحْلِفْ إلا باللهِ"، فكانت قريش تحلِفُ بآبائِها، فقالَ: "لا تَحْلِفوا بآبائِكُم" رواه البخاري.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ. وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ، ونهى النبي صلى عليه وسلم عن التبرك بالأشجار، فعن أبي وَاقِدٍ اللَّيْثِي وَكَانَ مِنْ أَصْحَاب رَسُولِ الله ﷺ قال - : لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ الله ﷺ مَكَّةَ خَرَجْنَا مَعَهُ قِبَلَ هَوَازِنٍ، حَتَّى مَرَرْنَا عَلَى سِدْرَةٍ لِلْكُفَّارِ يَعْكُفُونَ حَوْلَهَا وَيَدْعُونَهَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ قُلْنَا: يَا رسول الله، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : "الله أكبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، هذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. ثُمَّ قَال رَسُولُ الله ﷺ : "إِنَّكُمْ سَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ" (١٣٧)

ونهى النبي ﷺ عن التصوير،قال ﷺ :

"إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ المُصَوِّرونَ". و قالَ: "إِن الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبونَ يَوْمَ القِيامَةِ، يُقالُ لَهُمْ: أَحْيوا مَا خَلَقْتُمْ". رواهما البخاري وغيره.

ونهى عن الصلاة إلى القبور،فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الصَّلاةِ إِلَى الْقُبُورِ". رواه الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي.

ونهى عن التعبد في مكان يعبد فيه غير الله، فعن ثابتُ بن الضحَّاك، قال: نذرَ رجلٌ على عهدِ رسولِ الله ﷺ أن ينحرَ إبلاً ببُوانةَ، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إني نذرتُ أن أنحر إبلاً ببُوانةَ، فقال رسول الله ﷺ : "هل كان فيها وثنٌ من أوثانِ الجاهلية يُعبَدُ؟ " قالوا: لا، قال: "هل كان فيها عِيدٌ من أعيادِهم؟قالوا: لا، قال رسولُ الله ﷺ : "أوْفِ بنَذْرِكَ، فإنه لا وفاءَ لنذْرِ في معصيةِ الله، ولا فيما لا يملكُ ابنُ آدمَ". أخرجه الطبراني والبيهقي.

---

(١٣٧) أخرجه الحميدي،وابن حبان، وابن ابي عاصم.

الأصل الثاني: أمر الله بالاجتماع في الدين، ونهى عن التفرق فيه؛ فبين الله هذا بياناً شافياً تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين، ونهاهم عن التفرق فيه. ويزيده وضوحا ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الأمر بالاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون.

المسألة الأولى: من أصول أهل السنة والجماعة، الدعوة إلى الجماعة المتصفة بطاعة الله وطاعة رسوله المتقيدة بفهم الصحابة رضي الله عنهم، والنهي عن التفرق والاختلاف، وبيان أن الفرقة الناجية عند الاختلاف هي السالكة طريق النبي صلى الله عليه، وسلم وطريق الصحابة الكرام.

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ" رواه أحمد وابن ماجة وابن أبي عاصم وغيرهم. وفي روايه «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي».

وقال عليه الصلاة والسلام: " فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الراشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكمْ وَمُحْدَثَاتِ الأمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ"رواه أبو داود وابن ماجة وأحمد وغيرهم.

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ خَطاً فَقَالَ: "هذا سَبيلُ الله". ثُمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يَمينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: "وَهذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كلِّ سبيلٍ مِنْها شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ". ثُمَّ تَلا ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] إِلَى آخِرِ الآيَةِ. رواه أحمد وابن حبان وغيرهم.

المسألة الثانية: أسباب التفرق: لاشك أن للتفرق أسباباً كثيرة، ومنها:

أولاً: ظهور البدع فالأمة الإسلامية كانت مجتمعة على السّنة، فلمّا ظهرت البدع تفرق المسلمون، إلا قليلا منهم اعتصموا بكتاب الله، وساروا على منهج النبي ﷺ، وتقيدوا بفهم الصحابة سلف هذه الأمة.

ثانياً: التعصب للأشخاص، والتعصب للمذهب، حتى أصبح عند الكثير أن الذي لا يتعصب إلى مذهب معين، هو المخالف وقد يوصف بالزنديق، وأوجبوا على الناس

التعصب لشخص معين،أو مذهب معين دون النظر إلى الدليل والحجة، التي تكون مع غيره، فظهرت بدعة التعصب المذهبي، حتى وصل الحال ببعض المسلمين في بعض الأزمنة إلى أن المتعصب الشافعي، لا يصلي وراء الحنفي، وكذلك العكس، والمقصود المقلدة المتعصبون منهم، وإلا فالإمام والشافي وأبو حنيفة، ومالك وأحمد، وغيرهم من علماء الإسلام، هؤلاء من أبعد الناس عن التقليد الأعمى والتعصب المذموم.

ثالثاً: من أسباب التفرق هو التشبه بالكفار، في عاداتهم وأعيادهم، فظهرت بدع أعياد الميلاد وغيرها تأثرا وتشبها بالكفار.

المسألة الثالثة: الدعوة إلى الجماعة والاجتماع لا يكون إلا على الكتاب والسنة.

المسألة الرابعة: الاختلاف قد يكون في العقيدة، وقد يكون في المنهج، فهذا لا يسع الاختلاف فيه لأن المخالف يخرج من دائرة السنة، قال الإمام أحمد في أصول اسنة: " ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: أولاً: الإيمان بالقدر خيره وشره". فالاختلاف في باب العقيدة كتحريف صفات الله تعالى أو عدم إثباتها، أو نفي علم الله، أو اعتقاد جواز الخروج على ولاة الأمور، أو الانخراط بالمسالك الحزبية، فهذه من الأمور الخطيرة التي تخرج صاحبها من دائرة السنة.

وقد يكون الاختلاف في المسائل العملية الفقهية، كالاختلاف في هيئات الصلاة والوضوء، وفروع مسائل الزكاة والحج،فهذا يقع بين المنتسبين إلى السّنة، لكن لايخرج المختلفين عن دائرة السنة ما داموا على أصول السنة ولم يقعوا في بدعة.

الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبداً حبشيًّا،فبين الله له هذا بياناً شائعاً كافياً بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقدراً، ثم صارهذا الأصل لا يعرف عند أكثرمن يدعي العلم فكيف العمل به؟!

المسألة الأولى: الشيخ ذكرقضايا مهمة جداً،ففي الأصل الأول بين أهمية التوحيد وبيان ما يناقضه من الشرك، وفي الأصل الثاني، الدعوة الى الجماعة والنهي عن التفرق، وبين الشيخ أن النصوص الشرعية من القران والسنة، كثيرة في بيان ذلك ومع ذلك غلط فيه من غلط.

الأصل الثالث، وهو مهم جداً، وهو تحريم الخروج على ولاة الأمر، لأن الخروج على ولي الامر من مسائل الجاهلية، قال رسول الله ﷺ : «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو لعصبية، أو ينصر عصبية فقتل فقتلة جاهلية ومن خرج على أمتي بسيفه يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه». رواه مسلم.

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ». رواه مسلم.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ"

عَنْ يَحْيَى بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَدَّتِي، تُحَدِّثُ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَهُوَ يَقُولُ: «وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»رواه مسلم.

وعن أم سلمة - رضي الله عنها: " أن رسول الله ﷺ قال: «سيكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع، قالوا: أفلا نقاتلهم قال: لا ما صلوا» "رواه مسلم.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ» رواه مسلم.

عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ». رواه مسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: "يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ"، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: "تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ" [١٣٨]

وقد حرَّف بعض المُنحرفين [١٣٩] المعنى الذي أراده الرسول ﷺ في هذا الحديث [١٤٠]، فقال المقصود بهذا الحديث هو الإمام العادل مع الرعية لكن وقع منه ظلم على شخص واحد فقط فهنا عليه السمع والطاعة، ولا يجوز له الخروج، أما إذا كان الإمام ظالماً للجميع، فهذا لايتناوله الحديث، وهذه الشبهة منتقضة، بما ورد من نصوص كثيرة تدل على طاعة

---

(١٣٨) رواه مسلم باب الأمر بلزوم الجماعة، (٤٨٩١) ، والبيهقي في السنن رقم (١٦٦١٧) ، والحاكم في المستدرك رقم، (٨٥٣٣) .

(١٣٩) وهو المدعو "محمد العريفي "، حيث يقيد الحديث، بالأمير العادل الذي يظلم شخصاءِ واحداً، وهذا التقيد لادليل عليه، وإنما هو من نسج خيال وهو الحزبية، الفوضوية، لعقلية هذا المنحرف.

(١٤٠) وهو المدعو محمد العريفي، الداعية الحزبي المنحرف المعروف.

ولاة الأمر، وإن ظلموا، أو جاروا مالم يأمروا بمعصية،فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قال الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني: "ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم براً كان، أو فاجراً ويرون جهاد الكفرة معهم،وإن كانوا جورة، فجرة ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق وبسط العدل في الرعية، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف".[١٤١]

و سئل الشيخ ابن باز - رحمه الله - ما المراد بطاعة ولاة الأمر في الآية هل هم العلماء، أم الحكام ولو كانوا ظالمين لأنفسهم ولشعوبهم؟

الجواب: يقول الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾.

وأولو الأمر هم العلماء والأمراء، أمراء المسلمين وعلماؤهم يطاعون في طاعة الله إذا أمروا بطاعة الله، وليس في معصية الله.

فالعلماء والأمراء يطاعون في المعروف؛ لأنَّ بهذا تستقيم الأحوال ويحصل الأمن وتنفذ الأوامر، وينصف المظلوم ويردع الظالم. أمّا إذا لم يطاعوا فسدت الأمور، وأكل القويّ

(١٤١) في كتاب عقيدة السلف و أصحاب الحديث ص١٠٠.

الضعيف - فالواجب أن يطاعوا في طاعة الله في المعروف سواء كانوا أمراء أو علماء - العالم يبين حكم الله والأمير ينفذ حكم الله هذا هو الصواب في أولي الأمر"[١٤٢]

المسألة الثانية: في ذكر كلام العلماء المتقدمين في تقرير هذا الأصل.

قال الإمام أحمد: "والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر". أصول السنة لأحمد بن حنبل.

وقال الطحاوي في عقيدته المشهورة: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا".

قال الإمام ابن تيمية: " ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم، ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ ; لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان، إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو، أعظم من الفساد الذي أزالته" منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٩١).

المسألة الثالثة: أصبح الكلام في الولاة والدعوة إلى الخروج عليهم، صفة لكثير من المعاصرين المخالفين، ويعتبرون الشجاعة والإقدام هي في الكلام في الولاة.

(١٤٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٧/ ١١٥)

المسألة الرابعة: شبهة والجواب عليها.

يذكر بعض الناس، أن هذه الأصول المذكورة في الكتاب و السُّنَّة، والمدونة في كتب أهل السُّنَّة، لا تنطبق على ولاة الدول العربية، أو الإسلامية، أو بعضهم اليوم، وذلك لأمور منها:

أولاً: لأنَّهم لا يحكمون بشريعة الله، ويحكمون القوانين الوضعية، وهم بذلك كفار.

ثانياً: بعض حكام الدول الإسلامية أتفق أكثر العلماء على تكفيره، فكيف لايجوز الخروج عليه. ؟

الجواب من وجوه:

الأول: عدم التسليم بتكفير حكام المسلمين اليوم، وذلك لأنّه دلّت النصوص، أنّه ليس كل من وقع في الكفر أصبح كافراً، فلابد من توفر الشروط، وانتفاء الموانع، ولابد من الرجوع إلى العلماء، في الحكم على كل شخص مسلم بعينه بأنه كافر.

سئل الشيخ العثيمين رحمه الله :

هل يعتبر الذين لا يحكِّمون القرآن و السُّنَّة ويحكِّمون القوانين الفرنسية أو الإنجليزية كفاراً؟

الجواب: هذا يحتاج إلى النظر إلى السبب الذي حملهم على هذا، وهل أحدٌ غرَّهم ممَّن يدعي العلم، وقال: إن هذا لا يخالف الشرع، أم ماذا؟! فالحكم في هذه المسألة لا يمكن إلا على كل قضية بعينها" [١٤٣].

(١٤٣) لقاء الباب المفتوح، (١/ ٢٣)

وقال رحمه الله في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. وهل هذه الأوصاف الثلاثة تتنزل على موصوف واحد؟

بمعنى أن كل من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ظالم، فاسق؛ لأنَّ الله - تعالى - وصف الكافرين بالظلم والفسق فقال - تعالى - : ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. وقال - تعالى - : ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾. فكل كافر ظالم فاسق، أو هذه الأوصاف تتنزل على موصوفين بحسب الحامل لهم على عدم الحكم بما أنزل الله؟

هذا هو الأقرب عندي والله أعلم.

فنقول: من لم يحكم بما أنزل الله استخفافًا به، أو احتقارًا له،أو اعتقادًا أن غيره أصلح منه، وأنفع للخلق فهو كافر كفرًا مخرجًا عن الملة،ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجًا يسير الناس عليه، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق،إذ من المعلوم بالضرورة العقلية،والجبلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما عدل عنه.

ومن لم يحكم بما أنزل الله وهو لم يستخف به، ولم يحتقره، ولم يعتقد

أن غيره أصلح منه، وأنفع للخلق،وإنما حكم بغيره تسلطًا على المحكوم عليه، أو انتقامًا منه لنفسه أو نحو ذلك، فهذا ظالم وليس بكافر وتختلف مراتب ظلمه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافًا بحكم الله،ولا احتقارًا،ولا اعتقادًا أن غيره أصلح، وأنفع للخلق،وإنما حكم بغيره محاباة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا فهذا فاسق،وليس بكافر،وتختلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله: إنهم على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدَّلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل ويعتقدون تحليل ما حرم، وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال - كذا المنقولة عنه - ثابتًا لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب"[١٤٤].

الوجه الثاني في الجواب، على الشطر الثاني من السؤال،أو الشبهة ؟

فإذا رأى المسلمون من الوالي كفراً بواحاً،عندهم فيه من الله سلطان، وبعد الرجوع إلى العلماء الراسخين أهل السُّنَّة، يجوز لهم قتالهم،عملاً بحديث.

جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا أَصْلَحَكَ اللهُ، بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: "أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا،

(١٤٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: (٢/ ١٤٢)

وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ"، قَالَ: "إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ" [١٤٥]

لكن لابد من شروط ومنها:

القدرة: قال الشيخ ابن باز: أما إذالم يكن عندهم قدرة فلا يخرجون، أو كان الخروج يسبب شراً أكثر فليس لهم الخروج رعاية للمصالح العامة والقاعدة الشرعية المجمع عليها لا يجوز إزالة الشر بما هو أشر منه" [١٤٦]

تحقيق المصلحة المرجوة، وأن لا تكون المفسدة أعظم.

قال الشيخ ابن عثيمين: "ثم إذا خرجنا فقد يترتب على خروجنا مفسدة أكبر، ممّا لو بقي هذا الرجل على ما هو عليه لأننّا لو خرجنا ثم ظهرت العزِّة له، جرنا ذلة أكبر، وتمادى في طغيانه وكفره أكثر فهذه المسائل تحتاج إلى: -

١. تعقل

٢. وأن يقترن الشرع بالعقل

٣. وأن تبعد العاطفة

فنحن محتاجون للعقل والشرع، حتى لا ننساق وراء العاطفة التي تؤدي إلى الهلكة"[١٤٧]، فإذاً لابد من أمور يجب أن تتوفرحتى يشرع قتال الحاكم الكافر:

---

(١٤٥) رواه البخاري، باب بَابُ قَوْلِ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا) ، رقم (٧٠٥٦) ومسلم باب وجوب طاعة للأمراء في غير معصية: رقم (١٧٠٩) .

(١٤٦) مجموع فتاوى ابن باز (٢٠٣/٨) "

(١٤٧) انظر: كتاب لقاء الباب المفتوح (١٢٦/٣)

١- القدرة على إزالته.

٢- استبداله بخير منه.

٣- أن لا تكون المفاسد أعظم من المصالح.

والذي ينظر إلى أحوال الإنقلابات اليوم، سواء على الولاة الفساق، أو على الحكام الكفار، يرى عدم توفر هذه الشروط،لذلك حدثت من الفتن والفوضى ما لايعلمه، ولا يكشفه إلاّ الله، وانظر إلى الأوضاع الآن في بعض البلاد الإسلامية من الفوضى، وانعدام الأمن، والقتل والتشريد، وغيرها من المفاسد الكبيرة، التي هي ثمرة مرّة، وطبيعة للإنجرار وراء الفتن والشبهات من أدعياء، الخروج على الولاة بحجة الإصلاح، وتحكيم الإسلام هكذا زعموا ! وما هي إلا دعاوى بعيدة كل البعد عن الواقع..

فائدة:

الخروج على ولاة الأمور قد يكون بالسيف، وقد يكون بالكلام.

- قال الشيخ الفوزان:

"إن تتبع العثرات والزلات، واتخاذ ذلك سبيلاً لتنقص ولاة الأمور، أو الكلام فيهم، أو تبغيضهم إلى الرعية ليست طريقة السلف أهل السُنَّة والجماعة، فالخروج على الأئمة يكون بالسيف، وهذا أشد الخروج ويكون بالكلام، بسبهم وشتمهم والكلام فيهم في المجالس وعلى المنابر، هذا يهيج الناس ويحثهم على الخروج على ولي الأمر وينقص قدر الولاة عندهم " [(١٤٨)]"

---

(١٤٨) انظر: كتاب الإجابات المهمة "ص ٣١/٢٥" للشيخ صالح الفوزان.

قال الشيخ عبيد الجابري - سدده الله - : " وتقسم الخوارج إلى: -

١. محاربة.

٢. وقعدية.

المحاربة: مع تكفيرهم الإمام ومن تحت ولايته راضياً بها يرفعون السيف يحاربون وهؤلاء المحاربة وهم قسمان:

القسم الأول: له راية معلومة يمكن الوصول إليها، وهؤلاء يسوغ للإمام مناظرتهم ومحاورتهم بالأدلة كما صنع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، رابع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين، عندما أرسل ابن عمه عبد الله ابن عباس (رضي الله عنه) إلى أهل النهروان، فإنّه ناظرهم حتى أفحمهم، فرجع منهم ألوف إلى حظيرة الخلافة. [١٤٩]

والقسم الثاني: الخوارج المحاربة ليست لهم راية, بل عصابات, أو لهم راية لا يمكن الوصول إليها. "[١٥٠]

فمنهج السلف مع ولاة الأمور يتلخص بما يلي: -

١. طاعتهم مالم يأمروا بمعصية الله.

٢. عدم ذكر مساؤهم في المجلس العامة وغيرها.

---

(١٤٩) ذكر أبن كثير في كتابه الكبير البداية والنهاية"أنَّ علياً رضي الله عنه لما رجع من الشام بعد وقعة صفين ذهب إلى الكوفة فلمّا دخلها انعزل عنه طائفة من جيشه،قيل ستة عشر ألفاً، وقيل اثنى عشر ألفاً، وقيل أقل من ذلك فباينوه وخرجوا عليه، وأنكروا أشياء فبعث إليّهم عبد الله بن عباس فناظرهم فيها، وردَّ عليهم ما توهموه شبهة،ولم يكن له حقيقة في نفس الأمر فرجع بعضهم واستمر بعضهم على ضلالهم", انظر قصة المناظرة وما كان من أمرهم،البداية والنهاية لابن كثير (٧ / ٣١٠) .

(١٥٠) نقلا من كتاب فتح ذي الجلال والمنَّة بشرح أصول السُّنَّة للحميدي. للشيخ عبيد الجابري الطبعة الاولى دار الإمام أحمد / مصر وقد وفقني الله بالعناية به مع بعض التعليقات عليه.

٣. مناصحتهم إن أمكن ذلك.

٤. عدم الخروج عليهم بالكلام أو بالسيف.

فائدة:

لقد اعتنى علماء السلف بهذا الأصل المهم، حتى جعلوه من مسائل كتب العقيدة، فالذي يقرأ كتب العلماء، يجد أنّهم ضمَّنوا كتبهم فصولاً في هذا الباب قال الإمام أحمد: "والسمع والطاعة للأئمة، وأمير المؤمنين البر والفاجر "

وقال " ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كانوا اجتمعوا عليه وأقروا بالخلافة بأي وجه كان بالرضا،أو الغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السُّنَّة والطريق "[١٥١]

المسألة الر ابعة: كيف نوجه حديث أعظم الجهاد قول حق عند سلطان جائر؟

هذا ليس فيه معنى الخروج على السلطان، ولا الدعوة للخروج بل هو من باب النصيحة باللسان وكلمة "عند" ظرف مكان تفيد أن النصيحة تكون في المكان الذي يوجد فيه السلطان، مشافهة الحاكم وليس التشهير به في المحافل العامة، أو على المنابر، قال الرسول ﷺ : "من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدّى الذي عليه "،رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني.

(١٥١) أصول السُّنَّة، للإمام أحمد ٢٠.

الأصل الرابع: **بيان العلم والعلماء والفقه والفقهاء، وبيان من تشبه بهم وليس منهم، وقد بين الله تعالى في هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُم﴾ [البقرة: ٤٠] إلى قوله قبل ذكر إبراهيم عليه السلام: ﴿يَا بَنِي إِسْرائيل﴾ [البقرة: ١٢٢] الآية، ويزيده وضوحاً ما صرحت به السنة في هذا من الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وصنف في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالم.**

المسألة الأولى: منزلة العلم، وبيان العلم المرغب فيه.

العلم المرغب فيه هو العلم الشرعي:

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

وقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. فالذي لا يدعو إلى التوحيد، ولا يتعلم التوحيد، ليس بعالم يرجع إليه، أو ليس هو ذاك العالم الممدوح.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" رواه البخاري.

وقال النبي ﷺ : "إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر" أخرجه مسلم.

المسألة الثانية: بيان الفرق بين العالم الرباني الذي يربي الناس على التوحيد والسنة، وعلى صغار المسائل قبل كبارها،ويربيهم على الكتاب والسنة، وبين من تزيى بزيهم وتشبه بهم وهو ليس منهم.

المسألة الثالثة: الحذر والتحذير من المبتدعة ومن تزيا بزي أهل العلم وهو ليس منهم كدعاة البدع والضلالة.

المسألة الرابعة: بيّن الله هذا الأصل في القرآن في آيات كثيرة، ففي سورة البقرة، ذكر الله أحوال بني أسرائيل وبيّن أعراضهم عن العمل بالعلم، وبيّن أن من خصالهم:

١- كتم العلم.

٢- لبس الحق بالباطل، فكل من كتم السنة، أو لبس الحق بالباطل، أو لبس السنة بالبدعة، ففيه شبه من اليهود.

المسألة الخامسة: جاء في السنة الأحاديث الكثيرة، في بيان خطورة البدع، وخطورة الإعراض عن السنة، وخطورة كتم الحق.

المسألة السادسة: اختلفت المفاهيم عند بعض الناس واختلط عندهم الصواب بالباطل، فأصبح عند بعضهم أن الذي يدعو إلى الكتاب والسنة، وإلى المنهج الصحيح ويحذر من الشرك والبدع أصبح هذا هو الزنديق،

والذي يدعو الى البدع والآهواء والضلالات أصبح عند بعض الناس هو العالم.

الأصل الخامس: بيان الله سبحانه لأولياء الله وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله والمنافقين والفجار، ويكفي في هذا آية في سورة آل عمران، وهي قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] الآية.

و آية في سورة المائدة، وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية.

و آية في سورة يونس، وهي قوله: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]، ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم و أنه من هُداة الخلق وحفّاظ الشرع إلى أن أولياء الله لابد فيهم من ترك اتباع الرسل، ومن تبعهم فليس منهم، ولابد من ترك الجهاد، فمن جاهد فليس منهم، ولابد من ترك الإيمان والتقوى، فمن تعهد بالإيمان والتقوى فليس منهم، يا ربنا! نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء.

المسألة الأولى: في بيان صفات أولياء الرحمن.

قال الشيخ العثيمين: في بيان من هم أولياء الله: " هم كل من آمن بالله واتقاه واتبع رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] ثم بينهم فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣] الآيات، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ - وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦] وقال النبي ﷺ : «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما أوليائي المتقون». وقال الحسن رحمه الله تعالى: ادعى قوم محبة الله،

فامتحنهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] الآية، وقال الشافعي ﵀ تعالى: " إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدقوه ولا تغتروا به حتى تعلموا متابعته للرسول ﷺ "[١٥٢].

المسألى الثانية: في صفات أولياء الشيطان.

ذكر شيخ الإسلام مجموعة من الصفات السلوكية والعقائدية التي تظهر على المخالف المبتدع والمشعوذ، يظهر من خلالها بعده عن التقوى، والولاية الحقيقية ومنها:

١- يدعو غير الله.

٢- يستغيث بالمخلوقات، ويتوجه إليها.

٣- يسجد إلى ناحية شيخه.

٤- لا يخلص الدين لرب العالمين.

٥- يلامس الكلاب أو النيران.

٦- يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة.

٧- يأوي إلى المقابر.

٨- يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن، فهذه علامات أولياء الشيطان، لا علامات أولياء الرحمن. "[١٥٣].

(١٥٢) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة = ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية (ص: ١٣٨) .

(١٥٣) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص: ٨٣) .

وقال ﵀ في تفسير ما يحدث للمبتدعة والكفار والمشركين من خوارق للعادات في كتابه: "النبوات" (١/ ٥٢٤) : "ونحن نعرف من هؤلاء عدداً كثيراً، وليسوا صالحين، بل فيهم كفّارٌ، ومنافقون، وفُسّاق، وجُهّال، لا يعرفون الشريعة، والشياطين تحملهم، وتطير بهم من مكان إلى مكان، وتحملهم إلى عرفات؛ فيشهدون عرفات من غير إحرام، ولا تلبية، ولا طواف بالبيت. وهذا الفعل حرام. والجُهّال يحسبون أنّه من كرامات الصالحين، فتفعله الجن بمن يحب ذلك مكراً به، وخديعةً، أو خدمةً لمن يستخدمهم من هؤلاء الجهّال بالشريعة، وإن كان له زهد وعبادة. وكذلك الجنّ كثيراً ما يأتون الناس بما يأخذونه من أموال الناس؛ من طعام، وشراب، ونفقة، وماء، وغير ذلك؛ وهو من جنس ما يسرقه الإنسي ويأتي به إلى الإنسي، لكنّ الجنّ تأتي بالطعام والشراب في مكان العدم"

المسألة الثالثة: ليس من لوازم الولاية الحق، ظهور خوارق الكرامات.

فالأصل هو الايمان والتقوى هذا هو الأصل في الولاية، وليس بلازم أن كل ولي تظهر عليه أو يظهر عليه خوارق العادات.

يعني افضل الناس بعد الانبياء هم من؟ الصحابة لكن ما نجد في تراجم كثير منهم خوارق العادة وكرامات مع أن اهل السنة يؤمنون بالمعجزات ويؤمنون بالكرامات لكن ليس من شرط الولاية ظهور خوارق العادة، فالثبات على الاستقامة كرامة للعبد.

المسألة الرابعة: لما انتشر الجهل في بعض الأماكن، وفي بعض الأزمنة، انتشر فكر المبتدعة والطرقية الذين أوهموا الناس وحرفوهم عن الحق بشعوذات وسحر واستعانة بالجن وغير ذلك، وأهموا الناس أن هؤلاء هم الأولياء الأتقياء، مع بعدهم عن السنة والعمل بها وكثرة البدع والمعاصي فيهم،وانتشار الغناء والرقص عندهم، وأصبح المتمسك

بالسنة على فهم السلف هو المخالف في نظر كثير من الناس، والله المستعان كما ذكر الشيخ ذلك.

الأصل السادس: رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة و اتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي: أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق، والمجتهد المطلق هو الموصوف بكذا وكذا أوصافاً لعلها لا توجد تامة في أبي بكروعمر.

فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضاً حتماً لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق وإما مجنون؛ لأجل صعوبة فهمها، فسبحان الله وبحمده! كم بيّن الله سبحانه شرعاً وقدراً خلقاً وأمراً في ردّ هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريات العامة، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالًا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ٧ - ١١].

آخره، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

المسألة الأولى: ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة وفهم الصحابة رضي الله عنهم، في معرفة الأحكام الشرعية، والتحذير ممن يقول لا تأخذوا من القرآن والسنة بشبهة أنه لا يفهما إلا العلماء،وهذه الشبهة بسببها ابتعد كثير من الناس عن التفقه في الكتاب والسنة، وترك علوم الحديث،وزهد الناس فيهما إلا من رحم الله،وأصبح يُعلم الطالب أنه لابد من التعصب لمذهب معين وتقليد قول شيخ معين ويحذر من قراءة كتب السنة، وهذا خلاف ما أمر الله به، وخلاف ما أمر به رسول الله ﷺ، قال الله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ [النساء: ٨٢]، وقال

تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى ﴿ولَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧)﴾ [القمر17]. وقال عليه الصلاة والسلام: "نَضَّرَ الله امرأً سَمِعَ منَّا حديثاً فحفِظَه حتي يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حامِلِ فقهٍ إلى مَن هو أفقَهُ منه، ورُبَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيهٍ" رواه أبوداود وأبن ماجة وغيرهم.

المسألة الثانية: وجوب التحاكم للكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾،وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقال رسول الله ﷺ قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" قالوا: ومن يأبى؟ قال: "من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى".

أخرجه البخاري في "صحيحه كتاب الاعتصام ". البخاري مسلم.

قال رسول الله ﷺ : "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه.

المسألة الثالثة: لايُستغنى عن العلماء في فهم الكتاب والسنة.

والقول بوجوب الرجوع إلى القرآن والسنة، لا يعني أن طالب العلم يستغني عن فهم الصحابة رضي الله عنهم، وعن فهم العلماء الراسخين الذي ساروا على منهج الصحابة،

بل لابد أن يرجع إلى فهمهم، قال الله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾، وقال تعالى

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلا﴾، فلا يقال بوجوب تقليد عالم بعينه، ولايقال اتركوا العلماء، فهم رجال ونحن رجال فكلا القولين مخالف للحق،وإنما يقال خذ الحق بدليله، وعلى هذا سار علماء السلف، يعلمون الناس الأحكام الشرعية بأدلتها وينهون عن التقليد والعصب الأعمى للأشخاص.

المسألة الر ابعة: الرجوع إلى العلماء الربانين الراسخين، لايعني وجوب تقليد لأحدهم، أو الإلتزام بمذهب أحدهم في كل ما يقول.

المسألة الخامسة: أئمة المذاهب كانوا ينهون عن التقليد.

قال ابو حنيفة: (إذا صح الحديث فهو مذهبي). (ابن عابدين في " الحاشية " ١ / ٦٣).

٢ - (لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه). (ابن عابدين في " حاشيته على البحر الرائق " (٦ / ٢٩٣).

وفي رواية: (حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي).

زاد في رواية: (فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غدا).

وفي أخرى: (ويحك يا يعقوب (هو أبو يوسف)، لا تكتب كل ما تسمع مني فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غدا، وأرى الرأي غدا وأتركه بعد غد) [154]

وأما الإمام مالك بن أنس ﵀ فقال:

(إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه).

وقال (ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ). [155]

وقال الشافعي: أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد). (الفلاني ص ٦٨)

وقال (إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت).

(وفي رواية (فاتبعوها ولا تلتفتوا إلى قول أحد). (النووي في المجموع. / ٦٣) [156]



(١٥٤) صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم - الألباني (ص: ٤٧)

(١٥٥) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢ / ٩١) .

(١٥٦) انظر: صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم. للالباني.